العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل . هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الإشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا أجرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

الجزء الرابع – السنة الخامسة – شوال ١٣٩٠ – ك ١ (ديسمبر) ١٩٧٠

من خصائص بعض المدن والقرى

في أمثالها ، وما يقال عنها

– ٣ –

وعلى ذكر بيشة (ص ٢١٠) يحسن التنبيه إلى أمور :

الأول – أورد البكري في « معجم ما استعجم » كلاماً طويلا حول بيشة ، غير أنه ذكر أن الاسم يطلق على موضعين : الوادي المعروف وقال عنه : إنه من أودية تهامة ، ثم نقل في تعريفه أشعاراً منها قول ريطة بنت عباس الرعلي السلمي ترثي أباها – وكانت خثعم قتلته – أو قول الخنساء :

وكان إذا ما أورد الخيل بيشة ... إلى هضب أشراك أقام فألجَمَا

وذكر أن عباس بن مرداس السلمي أدرك بثأرها وقال :

أبلغْ خُحافةَ عنّا في ديارهمُ ... والحربُ تكشرُ عن نابٍ وأضراسِ
أنّا قتلنا بِتَرْجٍ من سراتهمُ ... سبعين مقتبلا صَرْعَى بعباسِ

ثم قال البكري : وبيشة أخرى ، وهي بيشة السماوة وهي مَأسدَةٌ ، قال مُزَرِّد :

لأوفى بها ثمّ كأن أباهمُ ... ببيشةَ ضرغامٌ غليظ السّواعِدِ

ثم ذكر أن خالد بن صفوان قدم على هشام بن عبد الملك فسأله عن مسيره فقال في بعض كلامه : حتى إذا كُنّـا ببيشة السماوة بعث الله علينا ريحاً حَرْجَفاً ، انجحرت لها الطيرُ في أوكارها والسباع في أسرابها ، فلم أهتد لعَلَمٍ لامع ، ولا لنجمٍ طالع .

ثم قال البكري : ولما قدم جرير بن عبد الله على النبي ﷺ قال : « أين منزلك ؟ » قال : بأكناف بيشة – يعني بيشة السماوة – . هذا كلام البكري ، وهنا محل الملاحظة ، أو الملاحظات :

١ – لقد ذكر أن بيشة واد من أودية تهامة ، وهذا خطأ ، فهو من أعظم أودية سراة الحجاز التي تنحدر صوب نجد .

٢ – ونقل عن يعقوب بن السكيت قوله: بيشة وتُرَبة ورَنْية والعقيق: أودية تنصب من جبال تهامة ، مشرّقة في نجد . قال : وبعض بيشة لبني هلال ، وبعضها لسلول . هكذا نقلته من خط يعقوب : رنية بالنون ، وغيره يقول : رقية ، بالقاف . انتهى . وهذا صواب ما عدا رقية بالقاف فهذا خطأ ، فرنية واد عظيم فيه قرى أعلاه العقيق وأوسطه كراء ، وأسفله رنية لا يزال معروفاً .

٣ – أما القول بأن بيشة بلدة جرير بن عبد الله البجلي هي بيشة السماوة، فهذا خطأ محض يوضحه : –١– أن بلاد بجيلة في سراة الحجاز ، وليست في السماوة التي هي من بلاد كلب ، وأعالي بعض روافد بيشة تنحدر من سراة الحجاز من جنوب سراة زهران ، ومن سراة خثعم وناهس . –٢– أن علماء اللغة لما نقلوا وصف جرير لبيشة ذكروا أن العلاك شجر ينبت بناحية الحجاز [1] . –٣– ورد في ذلك الوصف أن بيشة ينبت فيها النخل ، والسماوة صحراء لا ينبت فيها نخل إذ هي بلاد باردة .

ويحسن أن نورد وصف جرير لبيشة على ما جاء في « كتاب البكري »

---

(١) « لسان العرب » : علك .

و « تاج العروس » وغيرهما . روي أن رسول الله ﷺ سأل جرير بن عبدالله عن منزله ببيشة ، فقال : سهل دكْداك، وسَلَمٌ وأراك، وحموض وعلاك ، بين نخلة وَتحلة ، ماؤها يضوع ، وجنابها مريع ، وشتاؤها ربيع ، لا يقام ماتحها ، ولا يحسر صابحها ، ولا يعزب سارحها ، فقال رسول الله ﷺ : « خير الماء الشَّبِم ، وخير المال الغنم ، وخير المرعى الأراك والسلم ، إذا أخلف كان لِجيناً ، وإذا سقط كان دَريناً ، وإذا أُكِل كان لَبيناً » .

وهذا الحديث لا يصح لدى المحققين من المحدثين ، وإنما أوردناه لطرافته .

الأمر الثاني — إن اسم بيشة يشمل أودية كثيرة تجتمع كلها :

١ — بيشة : واد كبير ترفده أودية كثيرة ، أسفله بيشة النخل ، وفيه من القرى ما يقرب من عشرين ، أشهرها : الرَّوْشَنُ : لبني سلول ، ونِمْرَانُ — بكسر النون — : لبني معاوية ، أما سالم بن شكبان فقريته الدُّحْوُ — بضم الدال وإسكان الحاء بعدها واو ، وهو من شهران من الرِّمْثَيْن — بكسر الراء وإسكان الميم وفتح الثاء وإسكان الياء المثناة التحتية بعدها نون . وأعلى بيشة النخل : قرية واعر ، لبني مُنَبِّه ، يسمون أولاد الحكم بن مُنبّه . وهذا المكان هو الذي كان يعرف قديماً ببيشة بعطان ، وببيشة النخل .

٢ — بيشة ابن سالم : بلاد رُفيدة قحطان في أعلى وادي بيشة، وابن سالم هو حسين بن محمد بن سالم من مشائخ رُفيدة . ووادي بيشة ابن سالم من روافد بيشة النخل .

٣ — بيشة ابن مُشَيْط : أعلاها صَفوان ، وأسفلها قرية أبو سُلَيْك — منسوبة إلى مشيط بن سالم — من الرَّشدة من سنحان ثم من قحطان ، وهو زعيم شهران بلا منازع ، ووادي بيشة ابن مشيط (ويدعى خميس مشيط) من روافد بيشة النخل أيضاً [1] .

---

(١) انظر لتفصيل الكلام على بيشة كتاب « في بلاد عسير » لفؤاد حمزة ص ٥١ إلى ٦٣ ، الطبعة الثانية .

الأمر الثالث – من الأمثال الواردة عند المتقدمين عن بيشة ذكرها بين البلاد التي توجد فيها الأسود ، كما في قول قيس بن الخطيم :

ألفيتَهم يوم الهِياج كأنهم أُسْدٌ ببيشة،أو بِغاف رُؤَاف[1]

وكما وصف الحريري في « مقاماته » ضراوة أهل زمانه ، فقال بأنهم كأسْد بيشة ، غير أنّ الهمداني له رأي يحسن ايراده ، قال في ذكر الأمكنة التي توجد فيها الأسود : أسْدُ تبالة وأسد ترج وبيشة : فأما تبالة وترج وبيشة فهي من أعراض نجد ، ولا يكون بها أسدٌ – ولم يكن – وإنما تريد العرب أسود بيش ، ويزيدون فيه الهاء فيقولون : بَيْشة – بفتح الباء – وهي موضع الأسد ، وبيشة بعطان فهي بكسر الباء . وقيل : بل أرادوا بيشة نجد ، وأن رؤوس هذه الأعراض من أعلى السراة منها ما ينحدر إلى نجد ، ومنها ما ينحدر الى تهامة ، فما انحدر إلى تهامة فالأسْدُ فيه ، ولهذا الجِوَار نسبوها إلى هذه الأعراض ، وقد ربما طلع منها الواحد الى أرض نجد ، قاطعاً من بلده ، فعاث بها ، فلعلّ أول من نسب الأسد الى هذه المواضع عاين منها الواحد والزوج في بعض هذه الأودية[2] . انتهى .

وأقول : وما المانع من أن تكون أودية بيشة في العصور القديمة من مواطن الأسد في الجزيرة ، ثم خلت منها .!؟

١١–تَرْجُ : وادٍ يقع بقرب بيشة، وقد ضرب المثل بجرأة الماشي فيهذا الوادي فقيل : أجْرَأُ من الماشي بتَرْج . ويورد ياقوت تفسيرين لهذا المثل : (١) أن الشاعر بشر بن أبي خازم الأسدي غزا جهة هذا الوادي ، وفيه رماه نُعَيْم بن عبد مناف بن رباح الباهلي ، الذي قيل فيه : أجرأ من الماشي ببطن ترج ، فمات بشر من أثر رميته بالرَّدْهِ من بلاد قيس ودفن هناك .

(٢) ويحتمل أن يكون المراد بالمثل الأسْد ، لكثرتها في ذلك الوادي . قال الشاعر :

---

(١) انظر صفحة ٥٣٧ من كتابنا « في شمال غرب الجزيرة » .
(٢) « صفة جزيرة العرب » – ١٢٧ – .

بلاد العرب في بعض مؤلفات علماء الأندلس والمغرب

- ١٠ -

اليامة [*] :

قال الادريسي في « نزهة المشتاق » :

ويتصل بأرض عُمَان من جهة المغرب ومع الشمال أرض اليامة وهي بلاد الزرقاء اليامة [١] ، وكانت هذه الزرقاء اليامة في عهد الجاهلية ولها أخبار مشهورة ، مذكورة في الكتب . وتولى قتلها وسَبْيها وأخذ أموالها والٍ من قبل عمر بن الخطاب [٢] ، وبلادها محدقة بواد يسمى اقبان [٣] وعلى هـذا الوادي عمارتهم وقراهم .

وما مُخْدِرٌ من أُسْدِ تَرْجٍ ينازلهم لنـابيه قبيب

وعلّل الهمداني المثل تعليلا يتفق مع ما ذكر ياقوت أولاً إلا أنه قال : قتل عبد الله بن الصِّمَّة أخو دريد بخليف دكم من أعلى حَبَوَنن [١] ، قتله بنو الحارث بن كعب ، وفيه يقول القائل : أشجع من الماشي بترج [٢] .

ويقع وادي ترج في شمال بلاد عسير فيما بينها وبين بيشة ، وهو من روافد وادي بيشة ، يجتمع فيه في محل يدعى الحيفة ، فيه نخيل ويدعى المجمعة قديماً . وفي وادي ترج قرى منها : ١ - القويسا ٢ - جماح ٣ - البهيم ٤ - حوران ٥ - النقرات ٦ - العريجا ٧ - الحازمي ٨ - البدور [٣] .

(*) العناوين من وضع المجلة .

(١) كذا والمعروف : زرقاء اليامة .

(٢) قتل اليامة في العهد الجاهلي قبل ظهور الاسلام من قبل أحد ملوك اليمن وفتح اليامة في عهد الصديق ، وفي الهامش فوق هذا الكلام : (خالد بن الوليد من قبل ابي بكر الصديق) .

(٣) لم أرَ ذكراً لهذا الوادي فيما بين يدي من الكتب .

---

(١) يسمى الآن حَبُونه .

(٢) « صفة جزيرة العرب » ص ١٨٩ .

(٣) « بلاد عسير » ص ٥٧ للأستاذ فؤاد حمزة .

— ١٠ —

اليامة (*) :

قال الادريسي في « نزهة المشتاق » :

ويتصل بأرض عُمَان من جهة المغرب ومع الشمال أرض اليامة وهي بلاد الزرقاء اليامة (١) ، وكانت هذه الزرقاء اليامة في عهد الجاهلية ولها أخبار مشهورة ، مذكورة في الكتب . وتولى قتلها وسَبْيها وأخذ أموالها والٍ من قبل عمر بن الخطاب (٢) ، وبلادها محدقة بواد يسمى اقبان (٣) وعلى هـذا الوادي عمارتهم وقراهم .

وما مُخْدِرٌ من أُسْدِ تَرْجٍ ينازلهم لنـابيه قبيب

وعلّل الهمداني المثل تعليلا يتفق مع ما ذكر ياقوت أولاً إلا أنه قال : قتل عبد الله بن الصِّمَّة أخو دريد بخليف دكم من أعلى حَبَوَنن (١) ، قتله بنو الحارث بن كعب ، وفيه يقول القائل : أشجع من الماشي بترج (٢) .

ويقع وادي ترج في شمال بلاد عسير فيما بينها وبين بيشة ، وهو من روافد وادي بيشة ، يجتمع فيه في محل يدعى الحيفة ، فيه نخيل ويدعى المجمعة قديماً . وفي وادي ترج قرى منها : ١ — القويسا ٢ — جماح ٣ — البهيم ٤ — حوران ٥ — النقرات ٦ — العريجا ٧ — الحازمي ٨ — البدور (٣) .

(*) العناوين من وضع المجلة .

(١) كذا والمعروف : زرقاء اليامة .

(٢) قتل اليامة في العهد الجاهلي قبل ظهور الاسلام من قبل أحد ملوك اليمن وفتح اليامة في عهد الصديق ، وفي الهامش فوق هذا الكلام : (خالد بن الوليد من قبل ابي بكر الصديق) .

(٣) لم أرَ ذكراً لهذا الوادي فيما بين يدي من الكتب .

---

(١) يسمى الآن حَبُونه .

(٢) « صفة جزيرة العرب » ص ١٨٩ .

(٣) « بلاد عسير » ص ٥٧ للأستاذ فؤاد حمزة .

ومدينتهم المعروفة تسمى الِخضْرمة وهي مدينة عامرة بها مزارع ونخل كثير ، وتمرها أكثر من سائر التمر ببلاد الحجاز .

ومن مدنها حَجْر ، وهي الآن خراب ، وبها كانت اليمامة الملكة ساكنة في وقتها .

ويتصل بها برقةوسلمية وهما مدينتان متقاربتان في القدر والعمارة والصغر.

ومن اليمامة إلى مكة طريق ، وهو من اليمامة إلى العرض مرحلة ، ثم إلى الحديقة مرحلة، وثم إلى الثُّنيَّة مرحلة ، ثم إلى الصفراء مرحلة، ثم إلى صُدا مرحلة ، ثم إلى حِصْن القريتين الذي في طريق البصرة مرحلة ، وبالقريتين تجتمع الطرق ، ومن القريتين إلى رامة مرحلة ، ثم إلى طخفة مرحلة ، ثم إلى ضرية مرحلة ، ثم إلى جديلة مرحلة ، ثم إلى فلجة مرحلة ، ثم إلى الدفينة مرحلة ، ثم إلى قُبا مرحلة ، ثم إلى مَرّان مرحلة ، ثم إلى وجرة مرحلة ، ثم إلى أوطاس مرحلة ، ثم إلى ذات عرق مرحلة ، وهي بتهامة ، ثم إلى بستان ابن عامر [مرحلة] ثم إلى مكة مرحلة .

وسنذكر هذه المراحل من هذه الحصون والقرى والأماكن في مواضعها ذكراً شافياً بحول الله .

ومن بلاد اليمامة واعراضها حَجْر التي ذكرناها ، وبين الخضرمة وحجر مرحلتان ، ومعنى العرض في هذه الأرض هو وادي ذي أقنان [١] ، وهو يشق اليمامة من أعلاها إلى أسفلها ، وعليه قرى عامرة ومزارع حنطة ونخل وحدائق وأشجار ، وهذه القرى هي : منفوحة ووبرة والعرقة وغبراء ومهشمة والسال [٢] والعامرية وبيسان وبرقة ضاحك وسلمية وتوضح والمقراة والمجازة . وبين هذه القرى مسافات متقاربة لتجاورها بعضها لبعض ، وبين السلمية والسال مرحلة ، وبين السال وخضرمة اليمامة مرحلة ، وسلمية قرية حسنة عامرة قد احدقت بها حدائق النخيل ، وفيها تمور حسنة الألوان ،

---

(١) تقدم (أقبان) .
(٢) كذا :

شهية المأكل وكذلك السال قرية صغيرة بها قوم من العرب مستضعفون قليلون، وبها آبار وعين ماء خرارة .

ومن أراد المسير من اليمامة إلى البصرة سار من خضرمة إلى السال مرحلة، ثم إلى السلمية مرحلة، ثم يمر في الصحراء إلى المراد (؟) وهي قرية صغيرة بها قوم من العرب ثلاث مراحل ينزل على مياه آبار في مواضع قفرة، ثم يسير ثلاث مراحل أخرى إلى الصمان، وهي قرية عامرة[1] يسكنها قوم من العرب جياع عراة، قد كتب الفقر عليهم جامان (؟) ومن الصمان إلى طقجة (؟) مرحلة، وهي قرية صغيرة تصل أرضها بارض البحرين، ومنها إلى المدينة المسماة كاظمة أربع مراحل .

وكاظمة حصن منيع على جبل عالي الذروة، وهذه أربع المراحل ينزلها المسافرون مع العرب على مياه وآبار وعيـــون . ومن كاظمة إلى قرية دهمان مرحلة ثم إلى البصرة مرحلة، فجملة هذا الطريق من اليمامة الى البصرة خمس عشرة مرحلة، ومن اليمامة إلى البحرين نحو ثلاث عشرة مرحلة .

طرق عمان :

ومن عُمَان الطريق على الساحل إلى بلاد البحرين، وذلك من صحار ودما إلى مسقط الى الجبل، وهاتان قريتان بهما مغايص اللؤلؤ، ويقابلها في البحر طرف جبل كبير غائص في البحر، يظهر منه القليل في بعض الأماكن، ويغيب في غيرها، فإذا وصلت المراكب الصاعدة من البصرة إلى عمان إلى هذا الحد فرغت في الساحل ما فيها من الامتاع حتى تخف السفينة وتجوز ذلك الطرف ثم توسق بعد ذلك وتسير إلى عمان .

قطـــر :

ومن جلفار وانت نازل إلى البحرين تسير إلى مرسَى السجة (؟)، وهـو مرسى فيه عين نابعة وعذبة، ومنه إلى شعاب وبحر عريض وبراري صعبة

(١) الصمان صحراء لا قرية فيها .

السلوك ، وتسمى هذه الأمكنة ببحر قطر ، وفي هذا البحر عدة جزائر خالية ، لا عامر بها يأوي إليها أجناس من الطير البحري والبري ، فيجتمع بها من زبولها المقادير الكثيرة ، فإذا طاب ماء هذا البحر للسفر قصدَت اليها المراكب ، فتوسق الزبول التي قد كومتها الطير في تلك الجزائر ، وتسير بها إلى البصرة وغيرها ، فيبيعونه هناك بالثمن الكثير ، وتلك الزبول تصرف في عمارات الكروم والنخيل والجنات والبساتين .

وليس على بحر قطر ساكن ، ولا يأوي إليه أحد ، وهو مكان مخوف برّاً وبحراً .

ومنه يسار إلى مرسى المفقود (؟) وهو مرسى جليل، مكن (؟) من رياح شتى ، وبه عين ماء غزير عذب .

ومنه إلى ساحل هجر وهو أول بلاد البحرين ، ومن ساحل هجر إلى البصرة طريق على الساحل غير معمورة ، وسنذكرها إذا جاء موضع ذكرها في الاقليم الثالث بعون الله تعالى .

طريق الحج :

وأما معدن النقرة فهي قرية كبيرة عامرة يجتمع بها حاج البصرة وحاج الكوفة ، ومن أراد المسير إلى المدينة سار ذات اليمين إلى العُسيلة ، وهو منزل فيه أعراب ، وبه آبار ملحة ستة وأربعين ميلاً ، ومنها إلى بطن نخل ، وهي قرية كثيرة الماء والنخل ، ستة وثلاثون ميلاً ، ثم إلى الطرف وهو منزل خلاء وربما قصده بعض العرب ينزله وعمره ، وبه برك يجتمع بها ماء السماء اثنان وعشرون ميلاً ، ثم إلى المدينة خمسة عشر ميلاً . وأما الطريق من مكة إلى بغداد على القريتين فسنذكره في موضعه بعد هذا بعون الله .

بحر عمان :

وأما بحر فارس فإنا قد ذكرنا أنه يخرج من البحر الكبير الهندي خليجا، وانه يخالف سائر البحار والخلجان في بحره وموجه ، وفيه مما يلي شط اليمن جبلا كُسَيْر وعُوَيْر ، ويحيط في هذين الجبلين المكان المسمى دردورا (؟) ويسمى بحر موضعه (؟) بحر عزرة ، والدردور موضع يدور فيه الماء كالرحى دوراناً دائماً من غير فترة ولا سكون، فإذا سقط إليه مركب أو غيره لم يزل يدور حتى يتلف ، وهذا الماء موضعه يكون في جنوب جزيرة ابن كاوان ، وجزيرة ابن كاوان بينها وبين كيش اثنان وخمسون ميلاً ، وهو نصف مجرى، وجزيرة ابن كاوان مقدارها اثنان وخمسون ميلاً في عرض تسعة أميال ، وأهلها شراة اباضية ، وفيها عمارة وزروع ونارجيل ، وغير ذلك ، وترى منها جبال اليمن ، وعندها الدردور المذكور وهو مضيق على مقربة من جبلي كسير وعوير ، تسلكه السفن الصغار ، ولا تسلكه السفن الصينية ، وهذان الجبلان غائران تحت الماء ، لا يظهر منها شيء ، والماء يَكسِرُ على أعلاهما ، والربابنيون يعرفون مكانها فيجتنبونها ، وهذه الدردورات ثلاثة منها هذا الواحد ، والثاني في مقربة جزيرة قمار ، والدردور الثالث منها هو في آخر الصين، وفيها بين سيراف ومسقط سيف ابن الصماق وهو أنف قائم في البحر، وبإزائه جزيرة صغيرة ، وفي هذه الجزيرة سمك يسمى الوصيق (؟) له رأس مربع ، فيه قرنان في طول الإصبع إلى الدقة ما هي ، وجسد هذا السمك قليل (؟) ، وفمه شبيه بالقمع لا يفتحه ولا يغلقه ، وفي داخل فمه شيء أشبه بالقمع أحمر غضّ ، وفي فمه شقّ ذو أسنان ، به يقطع ويبلع ، ويقال : إن هذا السمك إذا أكله الأجذم وداوم على أكله برىء من علته ، وهذا مشهور في أرض فارس وأرض كرمان .

(للبحث صلة)

الصحافة في الحجاز

في أوائل العهد السعودي

من ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤م) إلى ١٣٦٠ هـ (١٩٤١م)

لقد شهد الحجاز في العهدين العثماني والهاشمي صدور عدد من الصحف [١] التي ظهرت نتيجة للظروف الاجتماعية والسياسية التي كان يعيش فيها الحجاز آنذاك . ورغم ان صحف هاتين الفترتين لم تعمر طويلاً ، إلا انها تمثل مرحلة النشأة في حياة الحجاز الصحفية . وقد تلتها في أوائل العهد السعودي مرحلة أكثر نضجاً وتطوراً ، فصدرت ثلاث صحف هي : « ام القرى » و «صوت الحجاز » و « المدينة المنورة » ، وثلاث مجلات هي : «الاصلاح» و «المنهل» و « النداء الاسلامي » .

أولاً : الصحف : أم القــرى

لقد صدرت « ام القرى » – أولى صحف العهد السعودي – بمكة في ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٣ / ١٢ ديسمبر ١٩٢٤ م . وهي صحيفة اسبوعية رسمية توجت صفحتها الأولى بالآية الكريمة : « وكذلك اوحينا اليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها»وأعلنت ان مبدأها هو «خدمة الاسلام والعرب» وقد تولى يوسف ياسين [٢] رياسة تحرير (ام القرى) ابان نشأتها ، ثم خلفه في الاشراف على تحريرها كل من رشدي ملحس [٣] ومحمــد سعيد عبد المقصود

---

(١) أنظر ما نشره كاتب هذه السطور عن الصحافة في الحجاز في العهدين العثماني والهاشمي في مجلة « العرب » : ج ١١ (يوليو ـ اغسطس ١٩٧٩ م) و ج ١ (سبتمبر ١٩٧٠ م).

(٢) لقد اشترك ـ قبل ذلك ـ مع محمد البديري في انشاء جريدة « الصباح » بالقدس في عام ١٩٢١ م . (انظر فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، ج ٤ ، بيروت ١٩٣٣ م ص ٦٨) .

(٣) في ١٤ اكتوبر ١٩١٨ م ، انشأ مع معروف الارناؤوط في دمشق جريدة (الاستقلال العربي) . (انظر فيليب دي طرازي ، كتابه السابق ، ص ٤٦) .

وفؤاد شاكر وعبد القدوس الانصاري .

كانت الصبغة الرسمية لجريدة « ام القرى » واضحة في سنواتها الأولى ولكن هذه الصبغة أخذت تقل في أوائل العقد الرابع من هذا القرن ،وبدت « ام القرى » حينئذ – ولا سيما حين تولى محمد سعيد عبد المقصود الاشراف على تحريرها – كما لو كانت جريدة غير رسمية ، ذلك لأن صفحاتها ، قد حفلت بالمقالات الادبية والتاريخية والاجتماعية التي كان يكتبها محرروهاوبعض الأدباء البارزين مثل محمد حسن كتبي واحمد السباعي . ولقد قامت « ام القرى » بدور مهم في رعاية الحركة الأدبية وانماشها ، ولكن صحافة هذه الفترة شهدت في آخر العقد الثالث واوائل العقد الرابع من هذا القرن ظهور الكتاب الادبي في الحجاز مثل « أدب الحجاز » و « خواطر مصرحة » و « التوأمان » و « من وحي الصحراء » ، ولذلك فقد فقدت هذه الصحافة شيئاً مما كانت تحظى به من منزلة فريدة في الفترتين السابقتين حين كانت الوسيلة الوحيدة لنشر الانتاج الادبي .

كانت « ام القرى » تطبع في المطبعة الحكومية [1] . وكانت تصدر في أول أمرها في اربع صفحات ، ولكن عدد صفحاتها قد تضاعف في عام ١٩٣٦ م ، فصدرت في ثمان صفحات . وقد مكنها ذلك من أن توسع في مجالها الصحفي ، وان تعالج قدراً كبيراً من الموضوعات . وقد بوبت حينئذ تبويباً انيقاً ، واهتمت بالاخبار وخصتهابعدة صفحات ، فهذه صفحةللاخبار الداخلية ، وأخرى للاخبار الشرقية ، وثالثة للاخبار العامة، واهتمت كذلك بالمقالات الادبية وخصتها بأكثر من صفحة منصفحاتها. وحيث ان «ام القرى» قد صارت آنذاك شبيهة بجريدة « صوت الحجاز » من حيث الاهتمام بالقضايا

---

(١) كانت هذه المطبعة مطبعة يدوية ، ولكنها قد زودت في عام ١٩٢٨ م . بآلات حديثة تدار بالكهرباء . (انظر مقالة « تاريخ الطباعة والصحافة في الحجاز » ، « ام القرى » عدد ٢٠٧ في ١٤ - ١٢ - ١٩٢٨ م) ، ومحمد سعيد عبد المقصود ، (الطباعة في الحجاز ، صوت الحجاز ، عدد ٣٤٣ في ٢٥ - ١ - ١٩٣٩ م) .

الأدبية، فانها لم تلبث ان اصيبت بمثل ما اصيبت به هذه الصحيفة ،فأصبحت ميداناً لمعارك نقدية حامية [1] .

ولقد شعرت « ام القرى » حينئذ بما لها من منزلة رائدة بين الصحف السعودية واحست بما عليها من مسؤولية توجيهية نحوها ، فقال محررها في حديثه عن الصحافة : (... لقد كنا نرى في بعض صحفنا ما هو بحاجة الى تذكير ولفت نظر، وكانت الغيرة الصحفية وواجب التناصح الاسلامي يدفعان بنا إلى محاولة تنبيه تلك الصحف إلىتلك الهنات لتتجنبها وترتفع بمستواها عن الانزلاق فيها ، غير اننا لم نفعل ذلك اعتماداً على حسن ظننا بالزملاء ، ويقيننا بأن مرور الزمن ودروس الايام كفيلة لهم بالتهذيب والصقل .. والآن لا نرى حرجاً علينا ان نؤدي ذلك الواجب في غير غض من اقدار اولئك الزملاء ، أو انتقاص من مكانتهم، اذ من المعروف أن هذه الجريدة ومحرريها اقدم عهداً بالصحافة وارسخ قدماً فيها من أي صحيفة في هذه البلاد ، فلا حرج في ان نشير إلى بعض الالتزامات التي هي في عنق الصحف والصحفيين ، والتي هي دستور جميع الصحف المحترمة في جميع الامم) [2] .

ومهما يكن ، فان نشوب الحرب العالمية الثانية قد اثر في « ام القرى » وحد من طموحها ، إذ أن صفحاتها قد انقصت في ٩ يناير ١٩٤١ م . إلى أربع صفحات . وفي ٨ أغسطس ١٩٤١ م صغر حجم هذه الصفحات ، وصارت الجريدة مجرد نشرة رسمية لا تحوي سوى الاعلانات الحكومية وبعض الأخبار المحلية والخارجية . ولقد قدر لأم القرى آنذاك أن تصبح الصحيفة الوحيدة التي تصدر في المملكة السعودية طوال ما بقي من فترة الحرب ، ذلك لأن الصحف والمجلات الأخرى قد احتجبت عن الصدور حين أعلن في ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٦٠ الموافق ١٨ يوليو ١٩٤١ م. هذا البيان الرسمي : (بناء

---

(١) انظر « ام القرى » ، عدد ٦٢٤ و ٦٢٦ و ٦٢٩ .

(٢) :(واجبات الصحافة في هذه البلاد)المصدر نفسه، عدد ٦٥٦ (٢٥ - ٦ - ١٩٣٧ م).

على نقص كميات الورق الموجودة في هذه البلاد ، فقد قررت الحكومة توقيف صدور جميع الصحف والمجلات في هذه الظروف الحاضرة ، وسيدوم هذا التوقف إلى نهاية هذه الازمة ، ويستثنى من ذلك جريدة « ام القرى » التي ستكون بنصف حجمها الحالي وتصدر في مواقيتها المعتادة)[1] .

وما زالت تصدر « ام القرى » ، ولكنها الآن قد تخلت عن معالجة الموضوعات الصحفية العامة ، واهتمت بنشر الاعلانات الرسمية والاخبار الادارية . ومهما يكن فإنه لا بد لمؤرخ الحياة الفكرية في هذه البلاد من ان يشير إلى ما قامت به هذه الجريدة - ولا سيما في العقدين الثالث والرابع من هذا القرن - من دور مهم في ميداني الصحافة والأدب .

صوت الحجاز :

وفي ٢٧ - ١١ - ١٣٥٠/٤ - ١٩٣٢/٤ م . صدرت في مكة جريدة (صوت الحجاز) وكانت من أهم العوامل في انعاش الحركة الادبية التي بدأت في آخر العقد الثالث من هذا القرن على ايدي كتاب المملكة الناشئين . فلقد انشئت لتكون - كما قال أول رؤساء تحريرها عبد الوهاب آشي - رابطة أدبية بيننا نحن ابناء هذه البلاد، توحد بين افكارنا وميولنا وثقافتنا[2] وقد أكد صاحب امتيازها محمد صالح نصيف شخصيتها الادبية هذه حين قال بأنها : (لسان حال النهضة الأدبية الحجازية ...)[3] . وفي الحقيقة ان ظهور « صوت الحجاز » يعتبر من أبرز المعالم في تاريخ الادب الحديث في المملكة ، ذلك لانها قد أصبحت لساناً لحال كثير من الكتاب في العقدالرابع وأوائل العقد الخامس من هذا القرن ، وميداناً لعدد من المعارك الأدبية التي شهدها هذا الأدب في تلك الفترة .

كانت « صوت الحجاز » تعتمد اعتماداً كبيراً على ما يسهم به الادباء من

---

(١) المصدر نفسه ، عدد (٨٦٥) (٢٤ - ٦ - ١٣٦٠/١٨ - ٧ - ١٩٤١ م) .
(٢) « صوت الحجاز » ، عدد ١ (٤ - ٤ - ١٩٣٢ م) .
(٣) « المصدر نفسه » ، عدد ١٣٢ (٥ - ١١ - ١٩٣٤) .

مقالات ، ولذلك فقد كانت شخصيتها في السنوات الأولى غير واضحة المعالم والسمات ، إذ لم تكن سوى وسيلة لنشر ما يجود به الكتاب من انتاج كان يختلف في اتجاهه ومستواه . وقد أدى اعتماد الصحيفة على مساهمة الادباء ، وتماديها في نشر انتاج الناشئة إلى أن اصبحت ميداناً للمعارك الكلامية ومجالاً للخصومات النقدية . ولقد أدرك المحرر حقيقة ما وصلت اليه جريدته فحاول أن يحد من هذا التيار النقدي ، وأن ينقـــذ الصحيفة مما صارت اليه . وقد أشار إلى ذلك حين قال بأن « صوت الحجاز » قـــد حفلت إبان ظهورها بالمقالات النقدية ، فلا يكاد شاعر أو أديب ينشر شيئاً من انتاجه حتى تنهال عليه اقلام النقاد (كأنهم يريدون القضاء على تلك الروح الأدبيـــة في مهدها قبل أن تتخطى إلى بعض مناحي التقدم ... ولعل من بعض الاسباب التي جعلتنا نحيد عن الطريق في تكوين نهضتنا الأدبيـة حول صحيفتنا مفاجأتنا بالحرية المطلقة في حياتنا الاجتماعية التي لم نألفها من قبل ، وهذا أصرح معنى لا يلتوي تفسيره على أحد من شبابنا المفكر ... ولا أظن صدرها [صوت الحجاز] الصغير يتحمل وطأة تأثير النقد ، فهي مشاع أدبي للجميع لا تحيز لفريق عن الآخر على شرط أن يأتونا بكل جديد مبتكر ومختصر ، وأن يكون هذا الجديد برهاناً جلياً على عزيمة صادقة وتضامن أدبي حولها يرفع من شأنها ، فتنال رضا الجمهور على اختلاف طبقاتهم وتباين نزعاتهم) [١] .

ولم يرض فريق من الأدباء ممن كانت الجريدة تعتمد عليهم بما أقدم عليه المحرر من تحديد لمجال النقد ، فكفوا عن الكتابة فيها . وقد أثر ذلك على الصحيفة ، وحرمها من كثير من المقالات التي كانت تحفل بهـــا أعمدتها . ومهما يكن، ففي مطلع عامها الرابـــع وفي ٥ محرم ١٣٥٤ / ٩ ابريل ١٩٣٥ انتقل امتياز « صوت الحجاز » إلى الشركة العربية للطبع والنشر . ولم يفسر قط سبب تغير ملكية الجريدة ، ولكن حيث أن هذه الخصومة قد زالت حينئذ ، وأن أولئك الأدباء قد عادوا إلى الكتابة في الجريدة ، فإن من

---

(١) : (كلمة صريحة حول نهضتنا الأدبية)، المصدر نفسه عدد ٩٦ (٥ - ١١ - ١٣٥٢/ ١٩ - ٢ - ١٩٣٤) .

الواضح أن هناك علاقة وثيقة بين الحادثتين ، وانه قد قصد بهذا العمل إنقاذ الجريدة مما أحاط بها من أزمات .

ورغم أن « صوت الحجاز » قد احتفظت بعد ذلك بشخصيتها الأدبية إلا أنها تأثرت تأثراً واضحاً بما حدث من تغير في إدارتها وملكيتها . فلقد كانت في سنواتها الثلاث الأولى حريصة على تشجيع الكتّاب الناشئين وعلى نشر إنتاجهم . وقد أوضح المحرر في الكلمة التي نشرها بمناسبة توديع عامها الثالث سياسة القائمين عليها حينئذ فقال : (وكان أكبر همنا أن نعنى أكثر ما نعنى بالناشىء والشباب ليفهم الحياة كما هي على حقيقتها ويتدرب على التفكير الجيد فيها)[1] . وفي الحقيقة أن القارىء ليشعر بأن « صوت الحجاز » كانت في مرحلتها هذه عبارة عن مجموعة للإنتاج الأدبي الذي أنشىء في ذلك الوقت . وحيث انها لم تكن تضع مقاييس لاختيار ما ينشر فيها ، فقد كان مستوى الآثار الأدبية التي نشرتها يختلف اختلافاً كبيراً ، ولعل من أسباب هذا الاختلاف هو أن هذه الجريدة التي أعلنت بأنها «مشاع أدبي للجميع»[2] قد حرصت على ألا تقفل أعمدتها أمام أي كاتب مهما كان مستواه الفني ، وذلك خوفاً من أن تحرم الملكات الناشئة من فرصة الكتابة والنشر .

أما في المرحلة الثانية حيث انتقل امتياز « صوت الحجاز » إلى الشركة العربية للطبع والنشر، فقد بدت الجريدة أكثر نضجاً في نظرتها إلى الأدب، وأشد حرصاً على اختيار ما ينشر فيها، وأقل اهتماماً بأمر الكتاب الناشئين . وحين احتفلت الصحيفة باختتام عامها السادس عرّض المحرر بالسياسة التي كانت « صوت الحجاز » تتبعها في سنواتها الأولى وأشار إلى مــا أوجدته هذه السياسة لدى الشباب من تعلق بالكتابة وولع شديد بالأدب فقال : (... مر يوم أوشك الشباب فيه أن يعلق السفسطة ويزلق في مهاوي الهرج وحب النقاش ، وكاد اللهو بنافلة القول وزائف الأدب أن يسود أوساطه ، وشرع فريق من الناشئة بحكم سذاجة السن وقاعدة حب الظهور الطبيعي

---

(١) «صوت الحجاز» تودع عامها الثالث، المصدر نفسه، عدد ١٤٩ (١١مارس ١٩٣٥).
(٢) المصدر نفسه ، عدد ٩٦ (١٩ فبراير ١٩٣٤) .

يغويه سحر صناعة الأدب الخلاب ، فنبتت أقلام لا يحصى وصفها ، وظهرت أسماء لا يحصر عددهـــا ، وكادت تطغى فكرة حمل الأقلام وحب ظهور الأسماء حتى على التلاميذ في فصول دراستهم فتنسيهم وظائفهم وتحصر جهودهم في مقالات يحبرونها ونشرات يصدرونها كمجلات أو دوريات مدرسية) .
ثم أبدى المحرر سروره بما ساد الجو الأدبي بعد ذلك من هدوء نسبي فقال : (... فنحن نشاهد اليوم هدوء هرج الشباب وقفول الناشئة عن سبيـــل خدعوا طويلاً ببهرجه وزخارفه وذوبان أسماء كثيرة كانت تتخايل بين الأنظار والأسماع،وجميلة حياة الاستقرار والهدوء بعد مثل ذلك الإفراط ... لنهنأ إذن بالاستقرار بعد الهرج، ولنمشِ في هدوئنا هذا بما صفى من أقلامنا، نخط المسالك ونرسم الطرق ، وليس لناعب أن ينعق بصرير أقلامنا بعد هذا الاستقرار أو يدعوه هرجـــاً لا نتاج فيه ... لنهنأ بما صفى من أقلامنا ، ونسعد بهذا النفر من الأدباء الذين طفوا على سطح البحيرة ، وليمش هؤلاء بنا بعد أن انحطت على كواهلهم مسؤوليتنا) [1] .

ومع أن « صوت الحجاز » قد أعلنت منذ البدء بأنها ستخصص أعمدتها لمعالجة الشؤون الأدبية ، إلا أن بعض رؤساء تحريرها لم يكونوا راضين عن انصرافها إلى معالجة القضايا الأدبية ، وكانوا في حديثهم عن ذلك كمن يعتذر عن هذه الخطة التي سارت عليها الصحيفة . فقد ذكر محمد سعيد العامودي في حديثه عن أيامه كرئيس لتحرير « صوت الحجاز » بأنه حاول أن يقلل من صبغتها الأدبية فقال : (... وكنت أحاول أن أجعل طابع الجريدة أخبارياً أكثر منه أدبياً ، على اعتبار أنها جريدة أخبارية قبل كل شيء وأن الطابع الأدبي إنما هو شعار المجلات) [1] . وقد أشار كذلك محمد حسن فقي أحد رؤساء تحريرها السابقين بأنه كان يود من « صوت الحجاز » أن : (تزيد في حجمها وأن تصدر مرتين في الأسبوع أو تنقلب جريدة يومية

---

(١) المصدر نفسه ، عدد ٢٩٣ (١ - ١٢ - ١٣٥٦ / ١ - ٢ - ١٩٣٨) .
(١) « عندما كنت صحفيا » ، « البلاد السعودية » ، عدد ٧٩٠ (٣٠ - ١ - ١٩٤٩).

تبحث بتوسع في شؤوننا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وتدع الأدب وما إليه من فنون جميلة إلى مجلة خاصة به »[1] .

ورغم محاولات هؤلاء المحررين فإن « صوت الحجاز » قـــد احتفظت بشخصيتها الأدبية حتى آخر أيامها ، وكانت في الحقيقة أشبه بالمجلات الأدبية منها بالجرائد . ومهما يكن فإن « صوت الحجاز » لم تهمل معالجة الموضوعات الأخرى إهمالاً تامـــاً ، فقد كانت تنشر مواداً أخرى غير أدبية . وتتسم مقالاتها الأدبيه وغير الأدبية بما يشيـــع فيها من روح إصلاحية حماسية ، فلقد كانت « صوت الحجاز » صحيفة جادة لم تنس في لحظة من اللحظات رسالتها في « محاولة تنوير الأفـكار وتثقيفها وتوجيه الأفهام ... حتى تصبح مستعدة للانتفاع بأنفع ما في دروس الحياة من عبرة وعظة »[2] .

لقد نجحت « صوت الحجاز » في أن تصبح « رابطة أدبية » بين كتاب البلاد ، ولكن حيث انها كانت ذات مجال محدود ، وانها إنما كانت تخاطب رجال الأدب ، فإنهـــا لم تكن منتشرة خارج محيط الأدباء والمثقفين . وقد أشار رئيس تحريرها إلى هذه الحقيقة في عـــام ١٩٣٨ وشكا من عدم اهتمام الجمهور بها ، فقال مخاطباً الأدباء : « ... لتكن لهم اسوة بصحيفتهم هذه التي تفتخر في صراحة بثبوتها طوال سني حياتها رغم فقدانها كثيراً من أسس القيام ومواد الثبات ، ورغم ما تصادف من جمهورها الساذج في البلد من إلواء أو إعراض سبب لها ويسبب إلى اليوم نقصاناً هائلاً في الرواج ، وأفقدها ويفقدها إلى الساعة كثيراً من عوامل القوة وعناصر التقدم ، وهي مع كل هذا متماسكة تنتعل الدماء وتجد السير نحو هدفها غير مبالية بما يحيط ببيئتها من كساد أدبي أو تجاري أو اعراض تعرف هي نفسها انه لم يقم في في طريقها قصداً ، ولا أُسيء به إليها عمداً ، وإنمـــا هو النتيجة الطبيعية لنسبة الثقافة والتعليم المئوية في بلاد ناشئة حديثة العهد بالنهوض الفكري»[3].

---

(١) « صوت الحجاز » ، عدد ١٩٥ (١٨ - ٢ - ١٩٣٥) .
(٢) « صوت الحجاز » ، عدد ٢٩٣ (١ - ٢ - ١٩٣٨ م) .
(٣) المصدر نفسه .

وقد كان من نتائج عدم اهتمام الجمهور بصوت الحجاز ان اصبحت تعاني دائماً من المصاعب المالية ، لأن دخلها كان يعتمد على التوزيع الذي لم يتجاوز – كما قال عبد الوهاب آشي – (الالف والضعف بيعاً واشتراكاً واهداء)[1] ولقد حرصت الجريدة على اجتذاب المعلنين اليها ، ولكن كانت الاعلانات التجارية قليلة جداً لم تزد في معظم الاحوال على اعلانين أو ثلاثة . وقد استمرت « صوت الحجاز » في الصدور رغم هذه الصعوبات المالية ، وذلك لأن ناشريها ومحرريها لم ينظروا اليها – كما يبدو – كمشروع تجاري ، بل كانوا يعتبرونها عملا تثقيفياً اصلاحياً .

ولقد توالى على تحرير « صوت الحجاز » عدد من الصحفيين لم تذكر الجريدة اسماء بعضهم كمحررين مسؤولين فيها، ولكن خليفتها صحيفة « البلاد السعودية » قد سجلت فيما بعد أسماءهم وهم : عبد الوهاب آشي ومحمد حسن فقي ومحمد حسن عواد ومحمد علي رضا واحمد سباعي وفؤاد شاكر وحسين عرب ومحمد سعيد العامودي ومحمد حسن كتبي وحسين خزندار وعبد الله عريف واحمد خليفة النبهاني واحمد قنديل ومحمد علي مغربي واحمد ابراهيم الغزاوي[2] ، ويبدو أن من اسباب تتابع هذا العدد من المحررين على الاشراف عليها هو أن الجريدة قد اعتمدت – إلى حد كبير – على محررين متطوعين ، وانها كانت قد مرت – إلى جانب ذلك – بأطوار متغيرة في سياستها ، وتجارب عديدة في حياتها .

ان « صوت الحجاز » لم تحقق تطوراً مهماً في ميدان الفن الصحفي من الناحية الشكلية فهي تشبه جريدتي « القبلة » و « أم القرى » من حيث بساطة الاخراج الصحفي وعدم الاهتمام بالوسائل الصحفية الحديثة ، ولكن قيمتها تكمن فيما تحويه مقالاتها من مادة فكرية جادة ، وفيما عالجته من موضوعات ثقافية متنوعة . لقد كانت صفحاتها منبراً فكرياً لمعظم الأدباء والمثقفين السعوديين الذين أحسوا حينئذ بأن من واجبهم أن يبثوا بواسطته إنتاجهم ،

---

(١) « البلاد السعودية » عدد ٧٩٠ (٣٠ – ١ – ١٩٤٩) .
(٢) المصدر نفسه .

وأن يتخذوه وسيلة لتثقيف مواطنيهم ، ولذلك فإن « صوت الحجاز » تعتبر سجلاً للحياة الأدبية والفكرية في الحجاز في العقد الرابع من هذا القرن .

كانت « صوت الحجاز » تطبع في سنواتها الأولى في المطبعة السلفية بمكة، ثم أصبحت بعد ذلك تطبع في المطبعة العربية بمكة . وكانت تصدر في أول الأمر مرة واحدة في الأسبوع ، ولكنها صدرت منذ ٢٥ يناير ١٩٣٩ مرتين في الاسبوع . وقد ظهرت في عامها الأول في ثمان صفحات ، ولكن عدد صفحاتها قد قلّ بعد ذلك فصدرت في أربع صفحات . وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية تضاءل حجم الجريدة ، وفي ٢٩ يناير ١٩٤١ أصبحت تصدر في صفحتين ، وأخيراً احتجبت – كسائر الصحف السعودية – عن الصدور منذ ٢١ يوليو ١٩٤١ حتى ٤ مارس ١٩٤٦ ، حيث عادت الى الصدور باسم جديد هو : « البلاد السعودية » . وفي بادىء الأمر احتفظت « البلاد السعودية » بشخصيتها الادبية القديمة ، ولكن هذه الصبغة أخذت تقلّ رويداً رويداً . وفي عام ١٩٥٣ أصبحت « البلاد السعودية » جريدة يومية ، وبعد ست سنوات من هذا التاريخ اختصر اسمها فصارت تدعى « البلاد » . أما الآن فإن من الصعب على المرء أن يجد شبهاً كبيراً بين هذه الجريدة وبين سابقتها « صوت الحجاز » ذلك لأن « البلاد » قد أصبحت جريدة يومية توجه اهتمامها الى الأخبار والمواد الصحفية الرائجة .

المدينة المنورة :

ولم تكن مجلة « المنهل » التي ظهرت في فبراير ١٩٣٧ هي الاثر الوحيد الذي أسهمت به المدينة في ميدان الصحافة في هذه الفترة ، فقد صدرت الى جانبها جريدة « المدينة المنورة » التي أنشأها عثمان حافظ في ٢٦ محرم ١٣٥٦ – ٨ ابريل ١٩٣٧ . وقد كانت جريدة أسبوعية تصدر في أربع صفحات وتطبع في مطبعتها الخاصة . وقد أشرفت على تحريرها هيئة مكوّنة من أمين مدني وضياء الدين رجب ومحمد زيدان وعلي حافظ [1] . وفي بادىء الامر

(١) انظر « المدينة المنورة » عدد ١ (٨ ابريل ١٩٣٧) .

تولى أمين مدني رياسة التحرير ، ولكن اسمه ما لبث أن اختفى من الجريدة منذ العدد الخامس عشر المؤرخ في ١٥ يوليو ١٩٣٧ ، فظل عثمان حافظ مسؤولاً عن إدارتها وتحريرها حتى ٩ محرم ١٣٥٨ / ١٠ مارس ١٩٣٨ حيث شاركه أخوه علي في ملكيتها والإشراف على تحريرها .

ورغم ان جريدة « المدينة المنورة » لم تكن مثل « صوت الحجاز » و « المنهل » [١] في الاهتمام بالأدب ، إلا ان تشجيع الحركة الادبية كان من أهم الاهداف التي حرصت الجريدة على إعلانها . فقد قال عثمان حافظ في افتتاحية العدد الاول بأن «المدينة المنورة» ستشارك «رصيفاتها في إحياء ماضي الحجاز البعيد أيام كان يزهو بروائع الادب وجلائل الاعمال ».ولقد خصصت الجريدة قدراً كبيراً من أعمدتها للقضايا الادبية ، ولكنها لم تصبح نسخة أخرى من « صوت الحجاز » ، ذلك لأنها قد حاولت أن توسع مجالها الصحفي وأن تنوع في موضوعاتها ، وكانت تولي القضايا الاجتماعية والتاريخية مثلما كانت توليه للموضوعات الادبية من عناية . وإلى جانب ذلك فقد كانت تهتم بأخبار المدينة وشؤونها المحلية مما جعلها تتسم بسمات تميزها عن غيرها من الصحف السعودية .

وقد أسهمت جريدة « المدينة المنورة » مع مجلة « المنهل » في تشجيع الحركة الادبية في المدينة ، وإبراز عدد من كتابها على المسرح الادبي ، فأصبحت المدينة آنذاك مركزاً أدبياً يشبه تلك المراكز التي وجدت من قبل في مكة وجدة . ولقد حاولت الجريدة كذلك أن تصبح وسيلة تثقيفية جادة ، فكانت ترعى النشاط الفكري الذي كان موجوداً حينئذ في المدينة ، وتنشر المحاضرات التي كانت تلقى في أنديتها .

وما كانت صحيفة « المدينة المنورة » تهدف من اهتمامها بشؤون المدينة إلى أن تصبح جريدة محلية ذات أفق صحفي محدود ، ذلك لأنها أعلنت منذ أول عدد من أعدادها بأنها « صحيفة الشعب العربي السعودي » . وقد أكد

---

(١) انظر ماسيلو من حديث عن مجلة « المنهل » .

عثمان حافظ حرص جريدته على أن توسع في مجالهـا الصحفي وألا تصبح صحيفة محلية ، فوصفها في افتتاحية العدد الأول بأنها « الصحيفة التي نعدّها لعامة أبناء المملكة العربية السعودية ، شيباً وشباباً ، لا فرق بـين المكي والمدني والرياضي والجدي والقصيمي والعسيري ، بل انا لنعدها لأوسع من هذا فهي تقبل كل مقـال عربي قيم ، وكل رأي اسلامي سديد القصد منه المنفعة العامة والاصلاح المأمول » .

ولم تكن جريدة « المدينة المنورة » بدعاً من الصحف السعودية التي كانت تصدر في هذه الفترة ، فقد عانت مثلها من المصاعب المالية ، واضطرت إلى الاعتماد في دخلها على ما كان لها من توزيع محدود . أما الاعلانات التجارية فقد كانت قليلة جداً ، ولم تكن بذات أهمية بالنسبة لموارد الجريدة . وحيث أن الاشتراكات لم تكن تدفع باستمرار فقد كان من عادة محرر الجريدة أن ينادي المشتركين في نهاية كل عام ملتمساً دفع ما تأخر من اشتراكات ،ولكن هذه النداءات لم تكن دائماً ذات جدوى ، ولذلك فقد ظلت الصحيفة تعاني من قلة الموارد ومن عدم استجابة المشتركين . وقـد تحدث عثمان حافظ عن هذه الحقائق وسجل ذكرياته عن هذه الحقبة من تاريخ الصحيفة فقال : «... أما من الناحية المادية فقد مرت علينا ظروف عجاف قاسية أكلت ما فوقنا وما تحتنا . كانت النفقات فوق طاقتنا المادية وفوق احتمالنا ، ولم يكن الوارد من الجريدة شيئاً مذكوراً بالنسبة لمصاريفنا . وإذا هل الشهر علينا... لا بد من تدبير مرتبات العمال ، ولا بد من دفع قيمة الطوابع التي تلصق على اعداد الجريدة في الداخل والخارج ، ولا اذكر أبداً انه هلّ علينا شهر من الشهور وفي صندوق الجريدة ما يسد مرتبات العمال ، بل لا بد من ان نسحب من منازلنا اشياء واشياء لتسديد اجور عمال المطبعة . كان المبيع من الجريدة (يا دوب يمشي الدولاب) ويغطي المصاريف اليوميـة ، ولم يصلنا من الاشتراكات إلا القليل ، وما يصل يدخل في الحساب اليومي ، وكنا نخجل من مطالبة المشتركين ببدل الاشتراك ، وما كنا نعرف هل الاشتراكات

تطلب في أول سنة الجريدة أم في آخرها ؟ » [١]

وقد استمرت جريدة « المدينة المنورة » في الصدور رغم ما اصيبت به من خسائر مادية ، وذلك لأنها كانت تشعر – كما يبدو – بأن لها رسالة تثقيفية كان عليها أن تؤديها . لقد كانت مثل « صوت الحجاز » و« المنهل » في انها لم تعتبر نفسها مشروعاً تجارياً بل أرادت أن تكون وسيلة من وسائل نشر الثقافة وخدمة الحياة الفكرية .وقد أكد محررها هذا الهدف حين قال: « ... ولم نقم بالعمل الصحفي للاستغلال ولا للربح أو الكسب والتجارة ولم يكن يشغل تفكيرنا إلا أننا نصل إلى الهدف ، نصل إلى تحقيق الحلم،الحلم الذي كان في مبدإ قيامنا به أشبه بالخيال ، ولم يكن همنا إلا أن نرى اليوم الذي تدور فيه المطبعة لتصدر جريدة تعبّر عن مشاعر البلد صادعة بما فيها من أدب وشعر وفن لتؤدي رسالتها الصحفية أحسن أداء . » [٢] .

ومهما يكن ، فإنّ ما أصيب به الحجاز من قلة في ورق الطباعة بعد اندلاع نار الحرب العالمية الثانية قد حدّ من طموح جريدة « المدينة المنورة»، وأنقص من حجمها، فصدرت منذ ٦ نوفمبر١٩٣٩ في صفحتين. ولم تؤثر الحرب على حجمها فحسب ، بل أثّرت كذلك على مضمونها ، فاختفت تلك المقالات والمناقشات الادبية التي حفلت بها أعمدتها في سنواتها الأولى ، وانقطع ما كانت تنشره من المحاضرات الثقافية التي تلقى في نوادي المدينة . وفي الحقيقة ان الجريدة قد أصبحت حينئذ عبارة عن نشرة أخبارية صغيرة لم تلبث أن احتجبت في ١٤ يوليو ١٩٤١ ولم تعد الى الصدور إلا في ١٥ سبتمبر ١٩٤٧ .

وما زالت جريدة « المدينة المنورة » مستمرة في الصدور . وقد أصبحت الآن جريدة يومية تصدر في مدينة جدة حيث تتوافر وسائل الطباعة والنشر.

---

(١) « قصة الصحافة في ربع قرن » ، « المدينة المنورة » ، عدد ١٤٤٤ (٢١ ديسمبر ١٩٦٣) .

لقد كانت هذه المقالة واحدة من سلسلة من المقالات القيمة التي تحدث فيها الكاتب عن تاريخ هذه الصحيفة .

(٢) المصدر نفسه .

قبيلة العوامر: أصلها وبلادها

- ٢ -

[تابع لما نشر في صفحة ٢١٧ / ٢٢٦]

آل سَلم

الرئيس الأكبر : شامس بن حمد بن علوة من بيت علوة من بيت عمار .

الدِّيرة : ان آل سَلم – كعوامر الجماعة الوسطى – ليس لهم ديرة خاصة . ووطنهم الحتم غير أنهم يتجولون من سهول الظاهرة بعُمان ، إلى الأجزاء الجنوبية والشرقية من الربع الخالي واحياناً يتجولون بعيداً حتى رمال الجافورة .

الولاء : يعتبر آل سلم أنفسهم من رعايا ابن سعود ويدفعون الزكاة سنويا إلى الحكومة السعودية .

الصفة : هم قبيلة صغيرة يتراوح عددهم بين ١٠٠ و ٢٠٠ رجل وحياتهم كحياة العوامر حيث يصعب تميزهم منهم .

النسب : هم في الأصل فرع من قبيلة العوامر ويعتبرون الآن مستقلين ، غير أنهم لا يزالون يتجولون مع العوامر من الجماعة الوسطى .

آل سلم (سلمي) :

وقد مرّت الصحيفة في السنوات الاخيرة بأطوار متعددة ، وتوالى على تحريرها عدد من المحررين . أما الآن فقد عثمان حافظ لرياسة تحريرها ، ولكنها لم تعد ملكاً له ولأخيه علي إذ ان ملكيتها انتقلت إلى مؤسسة المدينة للصحافة . وتعتبر جريدة « المدينة المنورة » في الوقت الحاضر من أكثر الصحف السعودية انتشاراً ، وأشدّها تأثراً بنظريات الفن الصحفي الحديث ووسائله .

(للبحث صلة) **محمد الشامخ**

قبيلة العوامر: أصلها وبلادها

- ٢ -

[تابع لما نشر في صفحة ٢١٧ / ٢٢٦]

آل سَلم

الرئيس الأكبر : شامس بن حمد بن علوة من بيت علوة من بيت عمار .

الدّيرة : ان آل سَلم – كعوامر الجماعة الوسطى – ليس لهم ديرة خاصة . ووطنهم الحتم غير أنهم يتجولون من سهول الظاهرة بعُمان ، إلى الأجـزاء الجنوبية والشرقية من الربع الخالي واحيانايتجولون بعيداً حتى رمال الجافورة .

الولاء : يعتبر آل سلم أنفسهم من رعايا ابن سعود ويدفعون الزكاة سنويا إلى الحكومة السعودية .

الصفة : هم قبيلة صغيرة يتراوح عددهم بين ١٠٠ و ٢٠٠ رجل وحياتهم كحياة العوامر حيث يصعب تميزهم منهم .

النسب : هم في الأصل فرع من قبيلة العوامر ويعتبرون الآن مستقلين ، غير أنهم لا يزالون يتجولون مع العوامر من الجماعة الوسطى .

آل سلم (سلمي) :

وقد مرّت الصحيفة في السنوات الاخيرة بأطوار متعددة ، وتوالى على تحريرها عدد من المحررين . أما الآن فقد عثمان حافظ لرياسة تحريرها ، ولكنها لم تعد ملكاً له ولأخيه علي إذ ان ملكيتهـا انتقلت إلى مؤسسة المدينة للصحافة . وتعتبر جريدة « المدينة المنورة » في الوقت الحاضر من أكثر الصحف السعودية انتشاراً ، وأشدّها تأثراً بنظريات الفن الصحفي الحديث ووسائله .

محمد الشامخ **(للبحث صلة)**

الأصل: آل سلم هم قبيلة صغيرة قريبة الصلة بالفريق الأوسط من العوامر ؛ وهم الذين يتجولون في الختم ما بين الظـّفرة وُعمان ويقولون أنهم في الأصل كانوا فرعاً من العوامر ، غـــير انهم الآن ينظرون إلى أنفسهم كمستقلين . ويعترف بدو القبائل الأخرى المتصلون بهم اتصالاً وثيقاً بحالتهم المستقلة ؛ ومع ذلك فإنّ صلتهم بالعوامر لا تزال من القوة بحيث، أن البدو وبعض أفراد القبائل الأخرى الذين يعرفونهم معرفة سطحية كثيراً ما يخلطون بينهم وبين أفراد العوامر .

إن آل سلم الذين يقطنون مع الفريق الأوسط من العوامر يتألفون من تسعة أفخاذ ، يقال : إن كل واحـــد منها يتكوّن من خمسة عشر إلى خمسة وعشرين رجلاً ؛ وعلى هذا يرسو مجموع عدد رجالها فيما ما بين مائــة ومائتي رجل على وجه التقريب . ويقال ان بعضهم يستوطنون في حضرموت حيث يقضون فصل الصيف بالقرب من سَيـْوون وتارية ، وهؤلاء لا يدخلون ضمن هذا التقرير .

ديرتهم : آل سلم بدو حقيقيون مثل جماعـــة العوامر الوسطى حيث يعيشون في الجهات القصيّة من الصحراء . أما موطنهم ففي الختم ، غير أنهم غالباً ما يتواجدون على بعد مئات من الأميال عن تلك المنطقة . ويحلون في بعض الأحيان بالكدن جنوبي الجواء بالظفرة ، وأحياناً يتخذون طريقهم عبر الربع الخالي إلى مَقـْشـَن أو إلى ديار المناهيل ، والفريق الجنوبي من العوامر بالجهة الشمالية لحضرموت . وربما يتنقلون من الختم إلى الشرق أو الشمال الشرقي إلى السهول الظاهرة في ُعمان ، أو قد يولـّون وجهتهم شطر الغرب عبر الظفرة وسبخة مِطـّي إلى رمال الجافورة أو إلى بعض المراعي الأخرى بالجهات الوسطى من مقاطعة الحسا .

ولاؤهم : يعتبر آل سلم أنفسهم من رعايا ابن سعود ، يؤدون [الزكاة] إلى جباتها السعوديين بانتظام ، اللهم الا إذا حدث أنهم كانوا في جهة بعيدة أثناء زيارة الجباة للمناطق التي يغلب وجودهم فيها .

- ٦ -

أم عشاكل : واد يقع غرباً من مصدة ، وفي أعلاه جنوبا غربياً من مصدة فيما بين هضبة برقا وهضاب الخويبيات ، تقع آبار زراعية وقصور لأهالي مصدة تسمى باسم الوادي (ام عشاكل) .

النشاش : قال الاستاذ عبد الله : وشمالي مصدة جبل (النشاش) سناف ممتد من الغرب الى الشرق ، يقع بين (مصدة) وبين (جمران) وبين وادي (الرّشاء) .

سبق أن مر بنا ذكر النشاش عند ذكر جمران ، والواقع ان النشاش ليس

آل سلم :

الرئيس شامس بن حمد بن علوة من بيت علوة من بيت عمار .

أ - بيت علوة : ابن علوة

١ - بيت عمار (عماري) ابن علوة ٢ - بيت الشيبة (ابن الشيبة)

٣ - بيت العطيري (عطيري) ٤ - بيت الحميد (حميدي)

٥ - بيت نايد (نايدي) ٦ - بيت قطامي (قطامي)

٧ - بيت فاطمة (ابن فاطمة) ٨ - بيت قبع (قبعي)

٩ - بيت الحضيري (حضيري) .

مصادر كتابية :

لا توجد معلومات مدوّنة كتابياً من آل سلم .

مصادر شفوية :

١) محسن بن بخيت بن الحسيني بن سعيد بن الشيبة من بيت الشيبة من آل سلم ، وهو موظف بشركة الزيت العربية الأميركية .

٢) ثعيلب بن صقر من آل خميس من آل لزّ من العوامر ، وهو موظف بشركة الزيت العربية الأميركية .

٣) عوض بن ناجي من بيت سبولة من المناهيل ، وهو موظف بشركة الزيت العربية الأميركية .

مع المجاز بين اليمامة والحجاز

- ٦ -

أم عشاكل : واد يقع غرباً من مصدة ، وفي أعلاه جنوبا غربياً من مصدة فيما بين هضبة برقا وهضاب الخويبيات ، تقع آبار زراعية وقصور لأهالي مصدة تسمى باسم الوادي (ام عشاكل) .

النشاش : قال الاستاذ عبد الله : وشمالي مصدة جبل (النشاش) سناف ممتد من الغرب الى الشرق ، يقع بين (مصدة) وبين (جمران) وبين وادي (الرّشاء) .

سبق أن مر بنا ذكر النشاش عند ذكر جمران ، والواقع ان النشاش ليس

آل سلم :

الرئيس شامس بن حمد بن علوة من بيت علوة من بيت عمار .

أ - بيت علوة : ابن علوة

١ - بيت عمار (عماري) ابن علوة ٢ - بيت الشيبة (ابن الشيبة)
٣ - بيت العطيري (عطيري) ٤ - بيت الحميد (حميدي)
٥ - بيت نايد (نايدي) ٦ - بيت قطامي (قطامي)
٧ - بيت فاطمة (ابن فاطمة) ٨ - بيت قبع (قبعي)
٩ - بيت الحضيري (حضيري) .

مصادر كتابية :

لا توجد معلومات مدوّنة كتابياً من آل سلم .

مصادر شفوية :

١) محسن بن بخيت بن الحسيني بن سعيد بن الشيبة من بيت الشيبة من آل سلم ، وهو موظف بشركة الزيت العربية الأميركية .

٢) ثعيلب بن صقر من آل خميس من آل لزّ من العوامر ، وهو موظف بشركة الزيت العربية الأميركية .

٣) عوض بن ناجي من بيت سبولة من المناهيل ، وهو موظف بشركة الزيت العربية الأميركية .

كما ذكر سنافاً يمتد من الشرق الى الغرب ، ولكنه سلسلة جبلية له رؤوس محددة تسمى (مزاريب النشاش) وعندها ماء له ذكر في كتب المعاجم القديمة . ولا يزال منهلاً معروفاً ، وعنده دارة لها ذكر في كتب المعاجم القديمة ، وقد ذكره الاستاذ عند ذكر مصدة والأولى به أن يذكره عند ذكر عرجا وذلك لأنه قريب منها ، وقد ذكره الهجري مقروناً بذكرها ، أما مصدة فهو بعيد منها في جهة الشمال الشرقي ، وقد ذكرنا أقوال أصحاب المعاجم القديمة في وصفه فيما سبق ، ودارته واقعة في ناحيته الشمالية . أما الأعلام والقرى الواقعة جنوبا من الدوادمي ، فأولها مما يلي الدوادمي(شعيب الهضيل) وهو واد ينحدر من الغرب صوب الشرق في مجرى عميق تحف به من جانبيه صحارى مرتفعة ، وفي أسفله طرفاء ، ويبعد عن الدوادمي (٣) أكيال ، وسيله يلتقي بسيل وادي واسط شرقاً جنوبياً من الدوادمي.وسبب هذه التسمية لهذا الوادي هو ان مرزوقاً الهيضل أتى غازيا – وذلك قبل أن تستقر قبائل عتيبة في وسط نجد استقراراً تاماً – ويوم كانت قبائل مطير تقطن الدوادمي وما حوله من المياه ، وكان الهيضل يريد الإغارة على إبل مطير القاطنين على الدوادمي وبعضهم كانوا قاطنين على ماء حمرور جنوبا من الدوادمي ، فانحدر مع هذا الوادي العميق بقومه نافذاً بين الفريقين ، وكان ذلك وقت الظهيرة في فصل الصيف ،وكانت فترة هدوء لا تتوقع فيها الغارات لشدة الحر ، ولأن الإبل تكون في طريقها الى الماء ، إما واردة وإما صادرة فعميت عنه العيون أثناء النهار واستطاع أن يأخذ الإبل الصادرة ويعارض بها الإبل الواردة شرقاً من الدوادمي فيأخذها ، ثم واصل سيره شرقاً وجعل العرض يميناً وانعدل جنوبا وانصرف بها عن طريق السرداح صوب الغرب ونجا وفات الطلب .

واسط : واد ينحدر من الغرب صوب الشرق في مجرى عميق تحف به سلاسل جبلية طولية (سنفان) حمر ، يقع جنوبا من شعيب الهيضل مسافة (٧) أكيال من الدوادمي ، وفيه آبار زراعية لأهل الدوادمي ، وفوقها بئر عذب الماء يسمى (زعفرانة) ، وفيه معدن بارود مشهور بجودته ،

وسيله يلتقي بسيل شعيب الهيضل ثم يدفع شرقاً ويفيض في حميّان ، وفي أسفله يقع ماء البعج وماء رغزة ، وقد سبق ذكرهما ووصفهما .

النُجَيبيات : واحدها نُجيبي تصغير نجبي ، وهما واديان متوازيان واقعان جنوباً من وادي واسط ، الأول منهما يسمى (أبو سدر) والثاني يسمى (أبو خروع) وسيلها يتجه شرقاً في مجار عميقة بين سلاسل جبلية حمراء (سنفان) ويلتقيان بوادي حمرور في مكان يسمى (العفجة) فيه رمس كثير وأرطى .

شعيب سمْرة : يقع جنوباً من النجيبيات ، مسافة (١٢) كيلاً من الدوادمي جنوباً ، وهو أحد الروافد الكبرى لوادي حمرور ، وفيه تقع قصور ومزارع سمرة ، وهي آبار جاهلية اكتشفت منذ زمن ، فحفرها أسر من أهل الدوادمي وعمروها وما زالت معمورة إلى هذا العهد ، وقد تغلب اسمها على منطقة المناجم القديمة الواقعة جنوباً من الدوادمي بأجمعها ، رغم انها تمتد بعيداً عن سمرة من جميع الجهات، وفي ناحيتها من الغرب الشمالي (سناف) أسود فيه مناجم قديمة يسمى (السُميرا) تصغير السَمراء .

حمْرُور : واد كبير يقع جنوباً من الدوادمي وجنوباً من النجيبيات على بعد (١٣) كيلاً من الدوادمي وتنتشر فيه معالم الآبار الجاهلية القديمة ، وقد حفر أهالي الدوادمي بعض الآبار الجاهلية القديمة منذ زمن وأقاموا فيه قصوراً وزراعة ، وما زال معموراً يقيم فيه أهله على زراعتهم ، ويسمى (حمرور) ويتناقل الأجيال من أهل الدوادمي أخباراً تاريخية مفادها أن هذا الوادي – وادي حُمرور – كان قديماً يسمى (النجبي) وإنما تغلب عليه اسم (حمرور) بعد أن أقيمت فيه القصور الزراعية وأصبح موضع استيطان ، ويعللون تسمية (حمرور) بهذا الاسم بأن رجلاً من قبيلة السهول اسمه حمرور والتي كانت في ذلك العهد تقطن فيما بين الدوادمي وماسل ومُجَيرات ، استقر في هذا الوادي وعزم على بعث بعض الآبار القديمة وزراعتها ، ولقربه من الدوادمي اعترض عليه أهلها ، وأخيراً قاموا بحفر الآبار وزراعتها ،

فنسبت الآبار إليه ومع مرور الزمن ولأنها أصبحت معمورة من ذلك العهد تغلب هذا الاسم على الوادي بأكمله ، أما روافده الكبرى — وكلها تنحدر من الهضاب والمرتفعات الواقعة جنوباً غربياً من الدوادمي — فأولها من ناحية الشمال وادي سمرة ، ويليه جنوباً منه (أبو عَلَنْدَى) ويليه جنوباً منه ، (أبو صفا) وهو أكبرها ويأتي من الجنة الغربية الجنوبية . ويليه جنوباً منه (شعيب بلاد غانم) وتتلاقى هذه الأودية وتتحد في مجرى عظيم مكونة (شعيب حمرور) غرباً من قصور حمرور، ثم ينحدر شرقاً ويفيض في حميّان، وقد أكثر الشعراء من ذكر حمرور ، قال هذال بن فُهيد في يوم سناف الطراد الواقع جنوباً من الشعراء :

حربنا من دون حمرور واقذاله والرفايع حيثها شمعة الدّيْرَهْ

وسنأتي على ذكر الرفايع عند ذكر الشّعْراء . وقال عبد الله الدُّربي :

عَدَّيْت في المرقابْ مرقاب حُمْرُورْ ورميت في شوف العيونَ الصّحاحِ
لا وا عشيري حالْ من دونها قور ودُون رعن القور بيض الفقاحِ

وقال شاعر من قبيلة العُصمة من عتيبة :

عَلْ الحيا يزّيَ الأوطانْ يزّي الرفايعْ وحِمْرُورَهْ (١)
ولْيّا تحدّرْ وطـا دَلْقان يمْطرْ عَلى جوْ وقصُورِهْ

وهكذا كان بعض البدو يسمون قصور حمرور (حمرورة) بلفظ المؤنث.

وفي أعالي هذه الأودية التي مر ذكرها وفيما بينها وبين بعضها إلى مدينة الدوادمي تمتد منطقة المناجم القديمة والتي أطلق عليها الجيولوجيون في هذا العهد (منطقة سمرة) وتنتشر فيها حفر المناجم العميقة وآثار المساكن القديمة بين مكان وآخر .

وإذا تجاوزنا وادي حمرور جنوباً وخلفنا هذه الأودية التي هي في الحقيقة الروافد الرئيسيّة لوادي حميّان والذي هو في الواقع بداية وادي (القِرنة) دخلنا في حوض واد عظيم هو وادي جهام ، ويتعلق أعلاه حول (سناف

---

(١) يزّي : يسقي .

المهاش) فما سال منه غرباً ينحدر علىجهة الشعراء وما سال شرقاً يأتيلوادي جهام ، ويأتيه من ناحية الغرب الجنوبي (شعيب الحلوق) سمي بهذا الاسم لوجود تكوينات جبلية تكتنفه وتكوّن فيه مخانق ضيقة،ثم يليه من الجنوب (شعيب أبو صلعة) وأبو صلعـــة جبل له قمة ملساء يقع شمالاً من مجيرة ، ويليه من ناحية الجنوب (شعيب سرّان) وسرّان ماء لقبيلة الروسان في هذا الوادي ، وهو الذي ذكره شاعر من أهـــل الشعراء مقروناً مع صفاقة وسنورد أبياته فيما بعـد ، ثم يأتي له من ناحية الجنوب شعيب (عُرَيْدَة) تصغير عَرّادة ، وهي هجرة لشلوان العميـدي الدعجاني وجماعته الدعاجين الهدّف على مسافة (١٨) كيلا من الدوادمي جنوباً في ناحية جهام الجنوبية وبعدها يأتي وادي (صفّاقة) وهي آبار زراعية قديمة ، إحتفرها آل هملان من أهل الدوادمي وبنوا عليها قصراً وما زالوا يقيمون فيها ويزرعونها ، قال الشاعر عمر بن ماضي من أهل الشعراء :

يا ليت سرّان يفدي دون صفّاقه وقلبان مَاسَلْ وقلبان العليجيّهْ
رَبْع إلى جاهم الطـّرقي على فاقـــهْ ربع مشاكيل وأصحاب دَنَاويّه

وقد عرفت اسرة آل هملان بإكرام الضيف والاحتفاء به عند نزوله في أيام الشدة والحاجة ، وقال ابن سلمان شاعر من أهل رويضة العرض انتقلمن بلده وجاور آل هملان في صفاقة وزرع معهم فيها ، وفي هذه الأثناء إكتشف بئراً جاهلية في ناحية جهام :

يا ابن طهيف إن كان جيتوا زنيتان قل يا قليب في جهام لقاهـــا
خليت زعّابهْ وهضبة قهيدان وبلادي اللي رخص عندي غلاهـا
وزرعت صفاقـــة قليب ابن هملان وراك يا ابن طهيف ما اظهرت ماها
جا الصيفما عَرقت مْعيد ابنسلمان ما الحقت سمره يا الظهيري مداهـــا

وقال مهنابن عبدالعزيز شاعر من أهل الدوادمي يذكر جهاما وبلاد غانم:

تكفـــون يا دنوتي تعززوا للقريب ترى لحوم الجمل ما شالها إلا عضاه
غِرْوٍ حناني كما قوس حناه السّبيب حنـــاه راعي الربابه للمغنّي حناه

حبّه رسا في ضميري حط قصرعجيب   حطّ السواكف دوامر، والكنادل غماه
جهام دون الحبّيب جرّذيبه قنيب   وبلاد غانم ترَى سِيد العذارى وراه

فاذا اتحد مجرى هذا الوادي الكبير وروافده اتجـــه شرقاً تاركا خشوم العرض الشمالية يميناً منه وهناك في ضفته الجنوبية تقع هجرة الهيضل (الحُفَيْرة) ويفيض سيله في وادي (الضحوي) .

وبعد أن نخرج من هجرة (عريدة) ينشعب الطريق ، فقسم منه يستمر جنوباً ذاهباً إلى عَرْوَى وقُرى الحمرة ، والقسم الآخر ينعدل صوب مطلع الشمس ماراً بصفـّاقة الآنفة الذكر ، وتبعد عن الدوادمي مسافـــة (٢١) كيلاً ، وسنسير مع هـــذا الطريق حتى نصل إلى مَاسَل وقراه ، ثم نعود ونتكلم عن الفرع الثاني حتى نتجاوز هضاب مُجَيْرة ، وندع بقيته حتى نمر به في مجرى البحث حيث تكلم الاستـــاذ عبدالله خميس عنها وأدمجها تحت مسمى (الشريف) إلى حدود صَبحا ولم يتعرض لذكر مواطن للعمران فيها كما لم يفصل في مسمياتها وصفاتها الجغرافية ، وسنبحثها بحثاً تفصيلياً شاملاً من النواحي العمرانية والجغرافية والتاريخية الى حدود صَبْحَا .

قلنا ان الطريق من هجرة عريدة يتجه صوب مطلـــع الشمس ماراً (بصَفّاقة) ؛ فإذا كنت في صفاقة رأيت جبال مجيرة جنوبا غربياً منك ، وهي هضاب واسعة ، وسنأتي على ذكرها ، وترى جنوبا منهـا جبلا أسود تعلو جانبه رملة يسمى (أبو نبطة) فإذا تجاوزت صفـّاقة مندفعـــاً صوب الشرق رأيت على يمينك جبلا آخر أسود معترضاً من الغرب الى الشرق تحف به من ناحية الجنوب برقة وتليها ماءة عذبـة تسمى (قُبَيعة) وهي لقبيلة المخاضير من العصمة ، ويقابلها شرقاً جبل أسود له قمة مرتفعة يسمى (مذروب أبو خيالة) ، وأبو خيالة ماء قديم يقع في جانبـه الغربي لأمرة المصري من قبيلة الفلتة من النفعة ، وعلى يسارك جبل مرتفع في عرضه بيـــاض يسمى (أبو درعة) . وبعد أن تتجاوز هذه الأعلام تبدو لك (حَشّة الغثيراء) جبال سود متصلة منطرحة في الارض في ناحية شعيب الوطاة ، ويبدو لك في ناحيتها جبل أبيض يسمى (عبل الغثيرا) ثم تجـوز وادي الوطاة ، وهو

واد عظيم تنحدر سيوله من مرتفعات بحيرة الجنوبية الشرقية ومن شمالي رتمة وما يليها ويمر من ناحية جِـمْح مأسل ، تاركاً الجمح يميناً منه ، وفي ناحيته الجنوبية تقع هجرة عبدالمحسن بن عُقَيِّل وجماعته من ذوي خيوط من قبيلة الدعاجين وبينها وبين مأسل (٤) أكيال . ولهم في وادي مأسل نخيل وبساتين وبعضهم يسكن فيه، وهؤلاء أي ابن عقيل وجماعتهم الذين كانوا في هجرة دَلْمة الواقعة في ناحية ثهلان الجنوبية ، وقد هجروا هجرتهم هناك وانتقلوا إلى مـأسل ، وأسّسوا هجرتهم في وادي ماسل داخل الجبل ، فلم يطب لهم السكن لضيق الوادي وحرارته في الصيف فخرجوا في وادي الوطاة ، وفي هجرتهم تقام صلاة الجمعة وفيها مدرسة ابتدائية ،وقال بعض الشعراء يذكر ماسلا والوطاة:

يَا هَلَ الهجن صابتني هَلـَلْ	واحبْ الموت ما يقرب مداهْ
قربوني خبيثين العمل	لين شفت البريّم في حشاهْ
ثم شالوا لهـا فوق الجمل	أشقح اللون سمحاتٍ خطاه
أنشد الربع قالوا لي : نزل	فوق ماسل مقيم فوق ماه
ليت مقطان ماسل في السَّهَلْ	بـين خشم الغثيرا والوطاه

الوطاةُ : ذكرنا أن سيول الوطاة تنحدر من ناحية بحيرة الشرقية ومن شمالي (رثمة) ، وبعد أن يتجاوز فيضة ماسل وهو متجه شمالاً منحدراً ينعرج شرقاً منعطفاً حول أطراف العرض الشمالية الغربية ، ثم يلتقي به سيل ماسل ويلتقي به سيل (شعيب قُبَيعَة) الآنف الذكر ، وسيل (أبو خيالة) في موضع يسمى (أبو بعيثران) ثم يتجه صوب الحسرج ويختلط به ثم يصب في وادي الضحوي، وقد سبق وصف الضحوي عند ذكر مُغيرا وجوم مغيرا.

مأسل : واد ضيق تحف به من جانبيه سلاسل جبلية شاهقة ، ويقع في ناحية عرض شمام الشمالية الغربية ، ويسمى الجبل المطل عليه (جمح ماسل) ويميز عن غيره بنسبته إليه فيقال له (ماسل الجمح) وهذا الاسم لمـاسل وللجمح اسم قديم لم يتغير ، قال الهمداني [١] : (ماسل جاوة لباهله وماسل

---

(١) « صفة جزيرة العرب » ص (١٦٥) .

الجمح لبني ضِنّة من بني نمير). وهذا الوادي – أي وادي ماسل – لا يدخل إليه إلا من ناحية أسفله أو من أعلاه، أما جانباه فانهما محاطان بسلاسل العالية المتصلة، وماؤه قريب من سطح الأرض وعذب جدا، وقد غرس فيه نخل وزراعة وأقيمت فيه مساكن لقبيلة الدعاجين جماعة ابن عقيل، وعلى طول الوادي تنتشر الكتابة والنقوش على صفحات الصخور المرتفعة وكلها بالخط السبئي، أما النقوش فمن بينها صور الرجال يحملون أسلحتهم من الحراب والسيوف وصور الخيل والابل والأسود، ويبعد عن مدينة الدوادمي (٥٨) كيلاً صوب مطلع الشمس.

قال الأستاذ عبد الله عند ذكره: وماسل هذا ليس (ماسل) الذي عناه امرؤ القيس في معلقته كما ظنه بعضهم، ولكن الذي عناه امرؤ القيس هو ماسل الهضب لا ماسل الجمح (*)، ثم أورد عبارة لأبي علي الهجري ولم يعلق عليها أو يُعرها أي مناقشة، وحيث أن أورد عبارة الهجري، وقارن بين ماسل الجمح وبين (ماسل الهضب) وحيث أنني وصفت (ماسل الجمح) وصفاً جغرافياً فإنني سأصف ماسل الهضب أيضاً وصفاً جغرافياً وأبحثها بحثاً تاريخياً.

وفي أبحاث الهجري (٢)، عروى: لبعض بني نمير:

فلما بدت عروى وأجزاع ماسلٍ وذو خُشُب كاد الفؤاد يطيرُ

عروى: هضبة حذاء ماسل بها جاوة باهلة وليست بعروى التي قرب وحفة القهر، هذه أمنع وأشمخ). وجاء تعليقاً على (عروى) في حاشية معجم البكري(٣):(قال أبو عبيدة: عروى هضبة بشمام، وشمام جبل مؤنث، عروى هضبة حذاء ماسل بهـــا جِاوة (بكسر الجيم) بطن من باهلة)

(*) في مخطوطة مكتبة الحرم المكي من « جمهرة أشعار العرب » نصٌ على أن المقصود: ماسل الجمح.

(٢) « أبحاث الهجري » ص (٣٣٩ - ٣٤٠).

(٣) « معجم ما استعجم » ج ٣ ص (٩٣٥).

وهذه الأقوال تفيد أن عروى واقعة حذاء مأسل ، غير أن عبارة الهمداني الآنفة الذكر فيها تميز بين (مأسل) الواقع حذاء عروى وبين (مأسل الجمح) حيث قال (مأسل) جاوة لباهلة ، ومأسل الجمح لبني ضنّة من بني نمير ، ومن قوله : مأسل جاوة لباهلة ومن قول الهجري : عروى هضبة حذاء ماسل بها جاوة لباهلة ، يتبين أن ماسلاً المشار إليه في هاتين العبارتين قريب من عَرْوى وأنه غير مأسل الجمح ، الذي ذكره الاستاذ ابن خميس وأورد عبارة الهجري كدليل عليه ، فذلك بعيد من عروى ، وتفصل بينه وبينها ظواهر جغرافية واسعة .

وهناك موضع يقع حذاء عروى شرقاً جنوبياً فيما بينها وبين (خُنَيفسة) يسمى في هذا العهد (مويسل) تصغير مأسل، وهو واد فسيح تحف به سلاسل من الجبال (سنفان) حمراء غير مرتفعة ، وفي أسفله (عَبَلٌ) جبل أبيض مذروب ، وفيه قصور وزرع وما زال معموراً بالزراعة والسكان ، وآبارة جاهلية قديمة ، وفيه آثار وبقايا نخيل قديمة (هيش) وفي أسفله طرفاء وسيله ينحدر من المرتفعات الواقعة شمالاً من بلد (الرويضة) ويتجه شمالاً بميل يسير إلى الشرق ويصب في وادي (الخَنَقَـة) ولعله الذي ذكره الهمداني في قوله: (ماسل جاوة لباهلة) . وقد فرق بينه وبين مأسل الجمح . وللهمداني عبارة توضح هذا الموضع والأعلام التي حوله وقد بدأها بذكر خنيفسة ثم ذكر المواضع التي تليها جنوباً وغرباً ثم عاد فذكر المواضع الواقعة شمالاً منها وهذا نصها[1] (الخنفس من مياه الشريف وهو من مياه مأسل جاوة ، ومن مياه الشريف ذو سقيف والجعور وهي الجمموشة وطويلة الخطام وعُصَير وطحي وعَصَنْصَر وطاحية ثم ستار الشريف الذي في طرف ذي خشب فوراءه العبلاء والزعّابة يزرعان ويوردان النعم ثم مأسل جاوة وهو حصنان ونخل وزرع ، وبشط العرض الأيسر ماء تَيْشر في ناحية البرم ، ثم مأسل الخفح (الجمح ؟) وفي فرعها صحراء يقال لها جراد والرملة ، ومن ورائها هضيبات حمر يقال لهن مُجيرات) اهـ .

---

(١) صفة جزيرة العرب ، ص (١٤٧) .

وسنناقش هذه العبارة على ضوء الدراسة الميدانية لهذه المواضع التي ورد فيها ذكرها .

بدأ حديثه بذكر (الخنفس) ويعرف في هذا العهد باسم (خُنَيفسة) تصغير خنفسة ، وقد يذكر بصيغة الجمع فيقال (خنيفسات) وقد أصبحت معمورة بالنخيل والزراعة والسكان ، تقع صوب مطلع الشمس من عَرْوَى وصوب الشمال الشرقي من بلدة (الرُّوَيْضة) ، وذكر انها – أي الخنفس – من مياه مأسل جأوة ، والواقع انها مجاورة لمويسل من ناحية مطلع الشمس . ثم قال : (ومن مياه الشريف ذو سقيف والجمور وهي الجمموشة وطويلة الخطام) . والواقع أن هذه المواضع الثلاثة لا تعرف بهذه الاسماء في هذه الناحية في هذا العهد ، ثم قال : وعصير وطحي) . والواقع أن عصيراً يعرف في هذا العهد باسم (عصيل) أبدلت راؤه لاماً ، وهو واد مشهور ، وسيله ينحدر من ناحية هضاب القصورية غرباً ، وفيه موارد قديمة وحديثة ، ويقع بالنسبة لعروى جنوبا غربياً ، وبالنسبة لخنيفسة غربا . والقصورية : مزارع ونخل وقصور قديمة ، ولا تزال معمورة ، تقع غربا من الرويضة .

طُحَيّ : زرته منذ عشرين عاماً وهو مورد عذب ماؤه قريب من سطح الارض ، وزرته خلال هذه الايام ، وهو هجرة لقبيلة العصمة تقام فيها الجمعة وفيها مدرسة ابتدائية ووحدة زراعية ، ويقع بالنسبة لبلد الرويضة جنوباً غربياً مسافة (١٣) كيلا ، وبالنسبة لعُصيل جنوبا شرقياً ، ويعرف بهذا الاسم لم يتغير . ثم قال : (وعصنصر وطاحية) والواقع أن هذين الموضعين لا يعرفان في هذه الناحية بهذين الاسمين ، وقال بعد ذلك : (ثم ستار الشريف الذي في طرف ذي خشب) . أما ذو خشب فليس هناك موضع يعرف بهذا الاسم في هذا العهد ، ولعله يعني هضبة مدقّة . و (مدقة) هضبة سوداء كبيرة تقع جنوبا من بلدة الرويضة وتتصل بالستار من ناحيتها الشرقية الجنوبية بواسطة (حشة) سوداء تربط بينهما تسمى (الطريْقيّة) .

أما **السّتار** فهو جبل أسود غير عال ، ظهره مستو يعترض تجاه مطلع الشمس من بلد (الرويضة) وطرفه الايمن يتصل (بالطريقية) وطرفه الايسر

يتصل بما وراء هضبة (زعّابة) ويسمى في هذا العهد (درقان) ، وكلمة درقان في لغة عامة أهل نجد تتضمن معنى كلمة (السّناد) ، قال شاعر من أهل الرويضة ، محمد بن سلمان :

من يا ليت ياخذ عجايب نهابه — الجادل اللي مايقي في تمدْرِيْهْ

الى أن قال :

وباكر إلى لحق الطلب له ضبابه — معنا ... وكلّنا ندّرق فيه

الرويضة : أو رويضة العرض : بلدة قديمة تقع جنوبا من عروى مسافة (٢٢) كيلا غربا من العرض في صحراء مستوية مرتفعة وهي بلدة زراعية ، وفيها مدرسة ابتدائية للبنين ومدرسة للبنات ومدرسة متوسطة للبنين ومحكمة شرعية ومركز شرطة ، وفي ناحيتها الشرقية تبدو من بعد هضبة (زعّابة) حمراء شاهقة تطل على النخيل والمزارع في ناحية البلد الشرقية ، وتحف بها من الجنوب والشرق هضاب (القهاد) ثلاث هضبات غير كبار من وراء الجنوبية منها تبدو هضبة (مدقة) وإذا كنت في بلد الرويضة رأيت أعلام المواضع التي مر ذكرها كلها ببصرك ، فهضاب (القصورية) تراها غربا،وهضاب طحي، هضاب حمر لها رؤوس مرتفعة، تقع فيما بينه وبين الرويضة وتسمى(مشمرخات طحي) تراها جنوبا غربيا ، والستار (درقان) صوب مطلع الشمس ، وفيما بين الرويضة وبين الستار تقع هجرة ماجد بن فهيد أمير قبيلة الشيابين وتسمى (الروضة) وتبعد من الرويضة (٣) أكيال ويحف بها جبل (درقان) من الشرق ، وتقام فيها صلاة الجمعة ، وفيها مدرسة ابتدائية ، وهي من الهجر القديمة ، قال الشاعر إبراهيم بن جعيثن يذكر عَرْوى والرُّويضة [١] :

أدْنَيْتْ حرٍّ كنّ زَوْلَهْ لْيَاسَارْ — دَلْوٍ تسمّحْ حبلها بانحدارهْ
كنّ النّضو مُومي الجناحين لْياطار — مثل النجم ليا تطايَرْ شرارهْ
بالدّو ، كِنّ النضو يا طا على حارّ — ما ينقهر لولا شكيمة عذارهْ
ثم اركبن يا طارشي حل الاسفار — راعي البرود معزّبه في نهارهْ

---

(١) « الأزهار النادية » ج٨ ص (١٢٧) .

سَبْح القعود لـيّا مشى عقب منشارْ   عـــروى يمينه والرويضه يسارهْ
لياك عند أدنى الفراقـــين تحتار   ولا يبْرك إلا عند راعي المغارهْ

وقال الشاعر ابن سلمان يذكر بلدة الرويضة ويذكر زعّابة :

يا ابن طهيف إن كان جيتوا زْنيْتان   قل : يا قليبٍ في جهـــامٍ لقاها
خليْتْ زعّابَهْ وهضبة قهيدان   وبلادي اللّي رخص عندي غلاها
وزرعت صفّافهْ قليب ابن هملان   وراك يا ابن طهيف ما اظهرت ماها

ويقصد بهضبة قهيدان الهضبة الجنوبية من القهاد ، ويعني ببلاده بـلدة (الرويضة) . ثم قال الهمداني : (فوراءه العبلاء والزعّابة بزرعان ويوردان النعم) : والواقع أن العبلاء لا تعرف بهذا الاسم في هذا العهد ، أمـــا الزعّابة : فهي هضبة حمراء لها قمة شاهقة ، تقع في ناحية بلدة الرويضة الشرقية ، ثم قـــال : (ثم مأسل جِاوة ، وهو حصنان نخل وزرع) وابتداءً من هذا الموضع نرى أنه اتجه من (خنيفسة) شمالاً ، وقـد سبق بحثه ، ثم قال : (وبشط العرض الأيسر ماء تيشر في ناحية البرم ثم مأسل الخضج) ، أما ماء تيشر فقد تغير اسمه ، وأما كلمة (الخضج) فيحتمل أنها تصحيف كلمة (الجمح) وقد مر ذكره ، ثم قال : (وفي فرعها صحراء يقال لها جرار [١] والرملة) . والواقع أن جراراً والرملة لا تُعرفان في هذا العهد بهذين الإسمين . ثم قال : (ومن ورائها هضيبات حمر يقال لهن مجيرات) ، وسيأتي الحديث عن مجيرات في هذا البحث .

ومن دراسة هذه العبارة وتطبيقها موضعياً لا يبقى مجال للشك في أن (مأسل جاوة) غير (مأسل الجمح) وأنه هو الموضع المعروف باسم (مويسل) الواقع فيما بين عروى وخنيفسة ، فتكون عبارة الهجري التي أوردها الاستاذ عبد الله عند ذكر (ماسل الجمح) لا محل لها في ذكره ، إذ المقصود بها (مأسل جاوة) لا مأسل الجمح .

---

(٢) يظهر انه (جراد) بالدال .   « العرب »

عَرْوَى : قال ياقوت[1] : بفتح أوله وسكون ثانيه ، وهو فعلى هضبة بشمام ، وأورد أبياتاً لابن مقبل :

يا دار كبشة تلك لم تتغير	بجنوب ذي بقرٍ فحزم عصنصر
فجنوب عَرْوى فالقِهاد غشيتها	وَهْناً فهيّج لي الدموع تذكري

ذو بقر : لا يعرف بهـذا الاسم في هذه الناحية ، (عصنصر) سبق الكلام عليه في عبارة الهمداني ويبدو أنه من المواضع الواقعة جنوب عروى. (القهاد) هضيبات حمر تقع في ناحية بلدة (الرويض) وقد مر ذكرهـا ، أما عروى : المعروفة بهذا الاسم فهي قمة سوداء شامخة منيعة الجوانب ، تقع في طرف سلسلة جبلية شقراء تمتد منها غرباً وجنوباً غربياً تسمى (عُرَيْويّات) في ناحية العرض الغربية ، وفي ناحية (عُرَيْويّات) الجنوبية دارة معروفة تسمى (دارة عريويات) ، وقد حذف اسم عروى تحريفاً يسيراً فأصبحت تسمى (عروان) [2] ويقصد به القمة السوداء الشاهقة ، وفي جانبها الشمالي واد عظيم ينحدر سيله من الشرفة وفي أسفله طرفاء ، ومجراه ينحدر شرقـاً ويصب في وادي (الخنقة) ، وفيه ماء قديم محاذٍ لقمة عروى ، وقد جرى فيه مناخ ذكره ابن عيسى في تاريخه [3] ، وقد اسست فيه هجرة لقبيلة المقطة جماعة ابن حميد عام ١٣٣٦ هـ وهي من الهجر القديمة ، وفيها محكمة شرعية ومدرسة ابتدائيـة ومدرسة متوسطة ومكتب بريدي ومستوصف ، وهي تابعـة من الناحية القضائية والإدارية لمركز الدوادمي وتسمى (عروى) . وأميرها الآن نايف بن جهجاه بن حميد ، وهي بالنسبة لجحم ماسل واقعة في جهة الجنوب الغربي ، أما بالنسبة لقمتي ابني شمام ، فهي تقع غرباً جنوبياً .

---

(١) معجم البلدان ، ج ٥ ص (٤٢) .

(٢) عروان : اسم ورد قديماً وقد يدعى ابن عروان قال ابن هرمة :

حلـه وازنٌ بنات شمام وابن عروان مكفهر الجبين

(٣) المناخ : في لغة أهل نجد هو أن تعقل الابل ويستمر القتال بين الفئتين المتحاربتين وقتاً طويلا ، انظر « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » ص ١٩١ .

حول نقد :

المجاز بين اليمامة والحجاز

- ٣ -

وذكرتني ذكرك الله خيراً فرغَيْ (شقراء) و (اشيقر) تمر منها القوافل مقبلة مدبرة ، تفري (صفراء الوشم) يتركها الطريق يمينه ، والتفت هنيهة بعد ما علوت منكب الصفراء ، منكبا (شقراء)، لتعود بنظرة الى (طويق)، مناكبه، وانوفه ، وثناياه .. وتعد بالعودة لتتخيل هذا المنظر من هناك ، من عند الدرع العربي فلماذا لا يكون هنا تضع اللوحة أمامك ، وتبدع في تمثيلها ، وتهب لها من فنك ، وذوقك .. روعة وجلالا ؟!

ومن هجرة عروى تشاهد قمتي شمام ببصرك ، قال الشاعر الشعبي هويشل بن عبدالله وقد ذكر عروى :

سقى دارهم بارقْ عَشيّهْ على فرعة أم سَحيْم لاحْ
من الرِّين لَيْن الحرْمليّهْ يردّه على عَرْوى نِسَاحْ
إلى سار في دِبْرَة وليهْ سقى تلعة الما والملاحْ
تسوقه ملايكة هديّهْ لشعب الجهيّش بالنّصاحْ
سقاها الحيا سقياً هنيّهْ من الوسم فجاج البطاحْ

وقال آخر يذكر دعم وادي عروى لوادي الخنقة :

يا من لقلب من هوى الزين ينخج كما ينخج السيل وادي العرينْ
يا شيب عيني من مفيض إلى دَجْ إلى حداه شعيب عَرْوى يمينْ

وادي العرين : هو وادي الخنقة ، والعرين في لغة عامة أهل نجد هو الأثل والطرفاء ووادي الخنقة نباته الأثل والطرفاء ، ويقع من عروى شرقاً شمالياً .

(للحديث صلة) الدوادمي سعد بن عبدالله بن جنيدل

حول نقد :

المجاز بين اليمامة والحجاز

- ٣ -

وذكرتني ذكرك الله خيراً فرغَتَيْ (شقراء) و (اشيقر) تمر منهما القوافل مقبلة مدبرة ، تفري (صفراء الوشم) يتركها الطريق يمينه ، والتفت هنيهة بعد ما علوت منكب الصفراء ، منكبا (شقراء)، لتعود بنظرة الى (طويق)، مناكبه، وانوفه ، وثناياه .. وتعد بالعودة لتتخيل هذا المنظر من هناك ، من عند الدرع العربي فلماذا لا يكون هنا تضع اللوحة أمامك ، وتبدع في تمثيلها ، وتهب لها من فنك ، وذوقك .. روعة وجلالا ؟!

ومن هجرة عروى تشاهد قمتي شمام ببصرك ، قال الشاعر الشعبي هويشل بن عبدالله وقد ذكر عروى :

سقى دارهم بارقْ عَشيَّهْ ... على فرعة أم سَحِيْم لاحْ
من الرّين لـيَيْن الحرْمليَّهْ ... يردّه على عَرْوى نِسَاحْ
إلى سار في دِبْرَةْ وليهْ ... سقى تلعة الما والملاحْ
تسوقه ملايكـــة هديَّهْ ... لشعب الجهيّش بالنّصاحْ
سقاهـا الحيا سقياً هنيّهْ ... من الوسم فجـاج البطاحْ

وقال آخر يذكر دعم وادي عروى لوادي الخنقة :

يا من لقلب من هوى الزين ينخج ... كما ينخج السيل وادي العرينْ
يا شيب عيني من مفيض إلى دَجْ ... إلى حداه شعيب عَرْوى يمينْ

وادي العرين : هو وادي الخنقة ، والعرين في لغة عامة أهل نجـــد هو الأثل والطرفاء ووادي الخنقة نباته الأثل والطرفاء ، ويقع من عروى شرقاً شمالياً .

(للحديث صلة) الدوادمي سعد بن عبدالله بن جنيدل

والى هنا وقفت يا أخي سعد ، في حلقتك الأولى من نقد (المجاز)ودفعت بها سبع عشرة صفحة من مجلة العرب باسم النقد، وما اكثرها من النقـــد في شيء ، والذي يصدق عليه النقد بين علم له اكثر من اسم ، تصر على أنتسميه بالإسم الذي تحفظه فقط، وبين ملاحظة سبقت عليها ، وجرى تصحيحها قبل نشر نقدك ، وبين موضع أوجزته أنا ، وتطلب بسطه، او بسطته انا وتطلب إيجازه .

ولو أنصفت النقد يا أيها الناقد الفاضل ، لانكمشت صفحاتـــك السبع عشرة في صفحتين ، ولأرحت نفسك من عناء هـذه السفرة المتعرجة النكدة. على ان العبرة بالكيف لا بالكم ، وبما ينفـع الناس لا بالجفاء .. وعلى أن ما أقدمت عليه ، وما تبعتك في نقاشه ، وتصحيح ما أخطأت فيه أنت وبسط ما أوجزته .. ربما يكون مصدر فائدة للقراء ، وعائدة على الجميع فيالتحقيق والتدقيق ..

وقال الاستاذ الجنيدل : من ظهر صفراء الوشم نهبط في قـــاع منخفض فسيح ، يمتد جنوباً وشمالاً ، بجانب الصفراء ، ويسمى (روضة القرعاء) ، وهو عار من النبـات ، وتجتمع فيه سيول المرتفعات التي حوله ، وهو بجانب (المروت) الشرقي . وعند الكيل الـ (٥١) من (مراة) يعلو الطريق على ظهر (المروت) . ا هـ .

فيؤخذ من قول الأخ الجنيدل هذا ، ان ما تحت الصفراء يمينـــاً وشمالاً يسمى روضة ، على طول امتداد الصفراء . وهي أيضاً لا نبات فيها . فأيّ روضة هذه ، تمتد بامتداد الصفراء ، سعة وشمولاً ، ومع ذلك لا نبات فيها! والمعروف يا أخ سعد انك تهبط من الصفراء على دكادك رملية يسيرة أمثـال البرقان بجللة سفوح الصفراء الغربية ، وهي امتداد لنفود (قنيفذة) وصفراء (الوشم) كما أشرنا في ذلك في بحثنا — المجاز — .

ثم اننا ندرك ان ما تحت الصفراء غرباً ، والذي يحمل صفة ما أوردته يقال له : — قاع شقراء — تسمية جزئية ، داخل (المروت) ، لا كما ذكرته

أنت انه يجانب (المروت) الشرقي ، وكما جاء في الجملة التي بعد هذا من كلامك حينما قلت : وعند الكيل الـ (٥١) من (مراة) يعلو الطريق على ظهر (المروت) . فما بين نفود (السر) من جهة ونفود (قنيفذة) وصفراء (الوشم) من جهة أخرى ما بينهما يقال له : (المروت) ، وهذا لا يمنع من دخول أسماء تميز أجزء هذا العموم .

بعد هذا أفاض الاستاذ الجنيدل ، وخصص حلقة من نقده للمروت ، ولما جاء عن المروت ، حاشداً أقوال العلماء في ذلك .. وسوف نناقش هذا البحث ، راجين من القارىء الكريم ، أن يتابعنا بصبره ، وأن يعطي هذه الحلقة بالذات مزيداً من تفهمه ..

اعترافه بصحة ما كتبته صراحة وضمناً :

قال الجنيدل : والواقع ان (المروت) الأكثر شهرة عند عامة أهل (نجد) ، هو ما ذكره – يعنيني – ، غير انه في تحديده من الناحية الجنوبية غير دقيق ، ثم انه لم يدعم رأيه ببحث تاريخي ، حتى يضفي عليه صبغة علمية رغم توفر المعلومات في كتب المعاجم القديمة عن (المروت) . ا هـ .

وقال الأخ الجنيدل في مكان آخر من بحثه : أما بالنسبة لرأي الاستاذ عبد الله بن خميس ، فقد كان يرى ان (المروت) هي الأرض الواقعة غربا من صفراء (الوشم) ، وانه ليس هناك ما يسمى (بالمروت) غيرها، وأنكر على ابن بليهد رأيه ، وهو لم يدعم رأيه بدليل تاريخي ، يكون سنداً له ، وسنورد هنا قولاً لأبي علي الهجري يؤيد ما قاله الاستاذ عبد الله ، بأن الصحراء التي ذكرها تسمى (المروت) . قال أبو علي الهجري : حدثني ابن معضاد السلمي من بني جعفر بن كلاب قال : أول الحزيز – حزيز اضاخ – وأنت تريد الشرق : (الريان) و (إمرة) مائتان ، وأنت تريد (اليمامة) وآخره (النشاش) و (عرجة) وهي ماءة وتتصل بعرجة الحلة ، ويخرج منها الى (السر) ثم من (السر) الى (جراد) ، وهي رملة من شق (الوركة) ، ثم تقع في (المروت) ، ثم في قرى الوشم ، ثم من الوشم (الحمادة) ، وهي سهب بين الوشم والعارض . ومن هذا القول يتبين ان

هذه الصحراء كانت تسمى المروت أيضاً . ويجوز أن نعتبر هذه التسمية أتت اليها من باب التعميم واعتبارها امتداداً لصحراء (المروت) الواقعة جنوباً منها.

وقال في مكان آخر : تكاد تدرك ان ليس هناك حصر لهذه التسمية ، على هذا الموضع الواقع غرباً من صفراء (الوشم) .

وقال في مكان آخر : وهذا لا يمنع أن تكون الصحراء التي تقع شرقاً من النفود ـ نفود السر ـ تسمى المروتة أيضاً.

ويقول في بدء بحثه عن القاع الذي تحت صفراء الوشم من الغرب يقول : وهو يجانب (المروت) الشرقي ـ الى أن قال ـ : يعلو الطريق على ظهر (المروت) اهـ . من أقوال الجنيدل المتقدمة نأخذ :

١ ـ ان ما ذكرته في بحثي (المجاز) هو اكثر شهرة عند عامة أهل نجد.

٢ ـ تحديد (أبي علي الهجري) في اتجاهه يثبت ان ما ذكرته هو عين الصواب .

٣ ـ يقر الناس بأن ما أثبته عن المروت حق ولكنهم لا يحصرونه فيما حددته .

٤ ـ يحدد الناقد مسار طريقه بين صفراء الوشم ونفود السر بالمروت عند كلامه على بعض الأعلام هنالك .

واذن فكلام صاحب المجاز في مجازه ، حق ، ولكن يؤخذ عليه اشياء :

١ ـ لم أكن دقيقاً حينما حددت المروت من الناحية الجنوبية فقط .

٢ ـ لم أدعم رأيي بسند تاريخي يقويه .

٣ ـ لم يحصر الناس المروت في الحيز الذي حددته من الناحية الجنوبية بل يتوسعون في ذلك .

تناقض الأخ الجنيدل :

بعد هذا يأتي الأخ الجنيدل فيقول : ويجوز ان نعتبر هذه التسمية ـ يعني ما سبق الكلام عليه ـ اتت اليها من باب التعميم، واعتبارها امتدادا لصحراء (المروت) الواقعة جنوباً منها !!

ألم تقل آنفاً يا استاذنا الجنيدل : ان المروت هو ما ذكرناه ، غير ان التحديد من الناحية الجنوبية غير دقيق ؟ فما سبب هذا التحول حتى اصبحت امتداداً بدلاً من ان تكون أصلاً ؟ ثم ما معنى قولك من باب التعميم ؟ أتقصد أنها قد عمت التسمية المكان وما جاوره ؟ لماذا ؟ لا شيء إلا من أجل أن يكون نقدك صحيحاً ، ثم ما هو باب التعميم لغة ، أتقصد التغليب فسبق قلمك للتعميم ؟ التغليب لا يكون غالباً إلا من الأصل للفرع أو من الأكبر للأصغر ، لا بالعكس . وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل جاء الأخ الجنيدل مرة أخرى ، وقال عن (الجله) : وهي الصحراء الممتدة بين نفودي السر وقنيفذة .. – الى أن قال – : ولها اسماء جزئية يعرفها من يسكنها ، أو يكرر عبورها ، ويطلقون على ناحيته الجنوبية المروت ، ويطلقون على المنطقة التي تليها شمالاً (الحلاة) .. الخ

هذه المرة لم يكن ما أثبته سابقاً امتداداً للمروت ، بل انطمس بقدرة قادر ، او انتقل حتى أصبح جنوبي الجله ، بعد ان كان شماليه ، أو جاء مروت آخر وحل هنالك ؟ وعلى فرض تعدد المراريت، من قال من العلماء : ان (الجله)شيء وان المروت شيء آخر ؟ ألم يكن (الجله) جزءاً من المروت في أقوال العلماء التي سردتها انت ، فما معنى هذا التحول أو التناقض ؟!

الجنيدل ، وابن بلهيد :

لم يطب للأخ الجنيدل انني استدركت على ابن بلهيد – رحمه الله – جعله (المروت) خلف نفود السر من الغرب، ولا ما أدليت به من وجهة نظر حول ذلك .. بل ساءه ان أضع علامات استفهام وتعجب : في نقاشي لرأي ابن بلهيد ، فقال : لماذا علامات الاستفهام والتعجب ؟ كأنني حينما علمت ذلك أتيت أمراً إدّاً ، والأمر لا يخرج عن الاستشكال والمساءلة، فهذه القواعد في علم الرسم يا استاذنا ، ما وضعت لكي تكون علامات خطر ، ولا اشارات إنذار .. وإنما لتقوم مقام الاسترسال في التعبير ، كإشارة تكفي عن طويل العبارة ، فهلا هداك الله ..

ثم قال الأخ الجنيدل : والواقع ان ابن بلهيد قال بما وصل اليه علمه ، ولا ضير على من قال بما علم .. ويا ليتك يا أخ سعد تستشعر مضمون هذه الجملة دائماً ، إذاً لأرحت واسترحت ، ووقفت مع الناس حيث وصل اليه علمهم ، خصوصاً إذا لم يكن لديك علم ثابت يفيد ويزيد ..

وقال الاستاذ الجنيدل : وقد وجه ابن بلهيد - رحمه الله - رأيه على ضوء أدلته ، توجيهاً مقبولاً، بأن الأرض الواقعة غربي نفود السر تسمى (المروتة)، وانها هي التي وقع فيها اليوم الذي جرى بين بني قشير، وبين بني تميم وكذلك مناخ (الحرملية) بين (عتيبة) وبين (مطير) .. وهذا لا يمنع من أن تكون الصحراء التي تقع شرقاً من النفود تسمى (المروتة) ايضاً .

احفظ أيها القارىء الكريم هذا ، ثم اقرأ ما يقوله الجنيدل في مكان آخر من بحثه ، مما سوف نورده ، ثم اعجب لهذا التناقض ...

قال الجنيدل : ويتضح من دراسة ما سبق ، من أقوال أصحاب المعاجم القديمة ، ان صحراء (حائل) تعني الصحراء الممتدة من جنوبي منطقة (السر) حيث ماء (خف) ، وتسير صوب الجنوب ، حذاء نفود (السر)،ويسايرها من الغرب امتداد صفراء (الدميثيات) فصفراء (مغيرا) فجبل (العرض) وتسير في امتداد واسع ، وتصل إلى ناحية (قنى) و(قنيّ) و (الهوّة) جنوباً وهي الصحراء التي يطلق عليها في هذا العهد : (الحدبا) .

أرأيت يا أخي كيف وجه الاخ الجنيدل في الفقرة الاولى رأي ابن بليهد وصححه ، حيث يقول ابن بليهد - رحمه الله - : ان المروت هي غرب نفود السر من (خف) ، وما ذهب عنه مجنباً ، إلى أسافل (القويعية) .. ثم جاء الاخ الجنيدل في الفقرة الثانية وأطلق إسم هـذا المكان بالذات على (حائل) .. كيف نجمع بين هذا وهذا ؟!

ويبدو ان الاخ الجنيدل بعد هذا تنبه للخطأ ، فعاد يقول : أما المروت: فالذي يبدو انه يعني الصحارى التي تمتد غرباً من نفود قنيفذة - الوركة قديماً - وغرباً من نفود السر - جراد قديماً - ويتصل بصحراء حائل

بواسطة الصحراء الممتدة بين منصرم الرمال ، حيث ينقطع رمل السر ، ورملة (الطغيبيس) شرقاً جنوباً من بلدة القويعية ، وهناك تنداح الصحراء وتمتد شرقاً إلى رملة الوركة وتتسع صوب الجنوب ،وتسمى هذه الصحراء (الجاذم) إلى منقطع الجبال ، ومن هذه الناحية تتصل حائـل بالجله (المروت) في صحاري واسعة ، وفيها مياه معروفة ، ولعل هذا الاتصال بين الصحاري في هذه الناحية هو الذي دعا أصحاب المعاجم القديمـة إلى الربط بين حائل والمروت واعتبار حائل جزءاً من المروت ، ومن هنا يبدو ان الشيخ محمد بن بليهد — رحمه الله — اطلع على هذه الاحوال واكتفى بمـا نقله من « معجم البلدان » واتبع طريقهم في الدمج بين حائل والمروت ،ومن هنا أخذ مصدر فهمه . ا هـ .

هنا أراد الاخ سعد أن يجعل حائلا جزءاً من المروت ، من أجل أن يتلافى التناقض السابق ، غير انه نسي ان عبارته جاءت هكذا : وقد وجه ابن بليهد — رحمه الله — رأيه على ضوء أدلته توجيهاً مقبولاً بأن الارض الواقعة غربي نفود السر تسمى (المروتة) .. الخ .

لماذا يا سعد لم يقل ابن بليهد : ان هذه الأرض هي حائل ،وهي جزء من المروت ؟ غير انه لم يأت لحائل في عبارة ابن بليهد ذكر ، وكل مـا في الأمر انك أردت أن تتمحل ، وتفترض .. فبان ذلك في عبارتك المرتبكة هنا .. على ان معظم عبارات العلماء تفيد ان حائلا غير المروت ، وان ما حاولت ان يأتي على رأيك من أقوال العلماء لا ينجدك . قال الهمداني : وعن يمـين سواد باهلة إلى قبة وصقب : بطن حائل ، وهو مثل يد المصافح ،يرى فيه الراكب من مسافة نصف نهار ، في وسطه رميلة يقال لها رملة الاطهار ، وفي أعلاه سوفتين ، ويحفه رمل جراد ، وهو منقطع ، وحده بين المروت وجراد. ا هـ.

فمن عبارة الهمداني هذه ، نأخذ تحديد (حائل) ووصفه ونأخـذ انه جعل المروت حدّاً له ، أو حداً للأطهار وهي منه . والحد شيء ، والمحدود شيء آخر ..

وقال الاصفهاني : وإذا جاوز الحجاج حائلاً والمروت ، مقبلين من مكة، صاروا في قرى اليمامة . قال الراجز :

إذا قطعنا حائلا والمروت　　فأبعد الله السويق الملتوت

وحائل بين رملتين جراد والاطهار ، وهي من حائل أيضاً . ا هـ .

ومن عبارة الاصفهاني هذه ، نأخذ ان حائلاً غير المروت ، لأنـه عطف المروت على حائل ، والعطف يقتضي المغايرة . وكـذلك عطف الراجز في البيت المتقدم ..

وقال الهجري : وحائل : رمل حائل بين المروت والرمل . ا هـ .
فرّق بين المروت وبين حائل ، وغاير بينهما .

والذي جعل ابن بليهد – رحمه الله – يرى هذا الرأي ، وتبعتـه انت انتصاراً له ، رغم ما وقعت فيه من تناقض .. الذي جعله رحمه الله يرى هذا الرأي ، هو ياقوت في بعض عباراته . ولكن ياقوتاً رحمه الله هنا تردد ، ولم يستقر على رأي ، شأنه إذا اختلط عليه الأمر ، يذهب يحشد الأقوال ، ولا يعطي نتيجة حاسمة .. وهذا لا يغمز جلالة قدره .. ولا يتناقض مع ثنائنا عليه .. قال رحمه الله : الاطهار من حائل ، وحائل بين رملتين ، بين جراد والاطهار ..

وقال أيضاً : قال الحفصي : حائل موضع بين اليمامة ، وبلاد باهلة ، أرض واسعة قريبة من سوفة ، وهي قارة هناك معروفة ، وحائل أيضاً ماء في بطن المروت ، من أرض يربوع ، قـاله أبو عبيدة ، وأبو زياد ، وأنشد البيت المتقدم : إذا قطعنا حائلاً والمروت ..... وقال أيضاً في كلامه على سوفة .. قال أبو عبيدة : سوفة موضع بالمروت ، وهي صحارى واسعة بين قفين أو شرفين غليظين ، وحائل في بطن المروت ، قال جرير .

بنو الخطفى والخيل أيام سوفة　　جلوا عنكم الظلماء فانشق نورها

وفي شعر الراعي المقروء على ثعلب :

تهانفت واستبكاك رسم المنازل　　بقارة أهوى أو بسوفـة حائل

فانظر أيها القارىء الكريم هذه الأقوال أوردها ياقوت ، وما بهـا من تغاير وامتزاز ، فمرة قال ان حائلا بين رملتي جراد والاطهار . ومرة أبعد النجعة وقال : حائل موضع بين اليامة ، وبلاد باهلة قريبة من سوفة . ا ﻫ .

مع أن سوفة من حائل . ومرة قال : حائل مـاء في بطن المروت من أرض يربوع عن أبي عبيدة .. فمرة حائل عنده ماء ، ومرة أرض ، ومرة هنا ، ومرة هنالك . مما يحملنا نتحفظ فيما يذكره ياقوت هنا .

ومن هنا جاءت عبارة الأخ الجنيدل هكذا : ومن هنا يبدو أن الشيخ محمد بن بليهد – رحمه الله – اطلع على هذه الأقوال واكتفى بمـا نقله من « معجم البلدان » واتبع طريقهم في الدمج بين حائل والمروت ، ومن هنا أخذ مصدر فهمه . ا ﻫ . ومثل هذه العبارات القلقة ، لا يمكن أن يركن إليها ، ويعدل عن أقوال العلماء المتفقة على تحديد المروت وحائل ..

أما ما ذكره ابن بليهد – رحمه الله – من شعر فيحان بن زريبان ، وإثباته ان (الحرملية) و (سوفة) من المروت فلا يقوم دليلاً قاطعاً على صحة رأيه ، فقد يذهب الشاعر لمناداة ذئب جبل أو مكان الى أرض معركة بعيدة عنه ، لشهرة المكان الذي به الذئب ، أو لاستقامة بيتـه ، أو لأن المكان مشهور بالذئاب ، أو لغير ذلك من الاغراض ..

وإذا فرضنا ان المروت يمتد مغربا حتى يحاذي الحرمليـة وسوفة مما حدى بابن زريبان أن يقول قوله هذا ... فـلا يمكن أن نفترض أن المروت يمتد بحذاء نفود السر غرباً حتى (خُفف) كما هو رأي ابن بليهد ، وتبعته يا سعد مرة ، وتناقضت أخرى ..

وعلى وجه العموم فأنا يا سعد أولى بالغيرة منـك على ابن بليهـد ، فلي به صلة أدبية وشيجة ، ويعتبر في بعض الابحـاث استاذاً لي ، ولكم حظيت بمجالسه الممتعة ، واستمعت الى أحاديثه الشيّقة ، وقرأت عليه جملة من كتابه « صحيح الاخبار » في الطائف قبل طبعه، وقرأت عليه كتابه :« ما ائتلفت أسماؤه واختلفت أصقاعه » ، ووضعت مقدمته ، وهو لا يزال مخطوطـاً،

وقلت في رثائي له : ما يحتمه الوفاء والاعتراف بالجميل والفضل .. وما هو عليه من معرفة ... ولم أزل أردد ذلك في كل مناسبة ... فلا تظن قولي عن ابن بليهد عقوقاً ولا تحاملا ، ولا انني لا أعرف ابن بليهد.. ولكن استدرا كي عليه من باب استدراك التلميذ على شيخه ، فهوّنْ عليك يا أخا العرب ، واحمل أخاك دائماً على المحمل الحسن ..

أين المروت في رأي الجنيدل ؟!

بقي أن نعرف ان الاستاذ الجنيدل خصص حلقة من نقده للمروت ، وحشد أقوال العلماء في ذلك ، وخصص جانباً لأقوال المتأخرين عن المروت، وتناول الاستاذ حمد الجاسر ، وعبيد الله بن خميس وخطّأهما .. وهذا كله مقبول لو ان الاستاذ الجنيدل جاء بقول (جهيزة) ، وقطع قول كل خطيب، وقال للقراء : هذه هي المروت ، يحدها من الشمال كذا ، ومن الجنوب كذا، ومن الشرق والغرب كذا وكذا .. بدليل كذا وكذا ، من أقوال المتقدمين، والمتأخرين .. إذاً لقلنا عفا الله عنك ، وأحسن الله اليك ، ولما قلنا انه ينطبق عليك البيت :

ولم نستفد من بحثنا طول (نقدنا) سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

فبعد هذه الرحلة الشاقّة أين المروت يا سعد ؟؟

أليس كل ما غزوت به هو معرفتك للمروت بحكم الجوار ، ومعرفة من يقطنها من البادية ، ويعرفها من الحاضرة .. هذا هو ما يمكن أن تدل به على الآخرين ، أما ما جاء في كتب المعاجم ، والمنازل والديار .. فغيرك يعرف مثلما تعرف . ولكن معرفتك هذه جاءت في ستة أسطر فقط ، هي خلاصة ما يعرفه ناس اليوم عن المروت ، على حد ما قلت . وهذا هو ما قلت كله :

المروت في معرفة عامة الناس في هذا العهد : تكاد تدرك ان ليس هناك حصر لهذه التسمية على هذا الموضع الواقع غربا من صفراء الوشم ، فهناك ناحية من جنوب الجله غربا من الحريق ، تطلق عليها هذه التسمية أيضاً ، وقد سمعت بعض البادية يسمون صحراء الحدباء الشمالية مروتاً ، وقد ورد

ذكره في أحاديثهم ، وعلى ألسنتهم وفي أشعارهم الشعبية بصيغة الجمع ، فهم يقولون : (المراريت) للصحارى المتشابهة في وصفها الجغرافي غرباً من نفود السر وشرقاً منه . ا هـ .

هذه الاسطر هي خلاصة معرفة المتأخرين للمروت في رأي الاخ الجنيدل (وخرجنا من المولد بلا حمص) !..

واذاً فان ما قلته عن المروت في « المجاز بين اليمامة والحجاز » هو الحق إن شاء الله . غير انني استدرك واتوسع في تحديدها من الناحية الجنوبية ، حتى منقطع الرمل من نفود السر جنوباً (جراد) وربما تأخذ حذاء منقطع الرمل مغربة من غير بعد على ما ورد في أقوال العلماء المتقدمة .

ولا بأس هنا أن أورد ما قاله الاصفهاني في « بلاد العرب » واصفاً خط السير من اليمامة إلى مكة ، وصفاً دقيقاً لكي تدرك صحة ما قلناه . قال الاصفهاني بعد ان وصل (الغزيز) وقد ابتدأ من حجر — الرياض — قال : ثم تجوز ذلك فترد الغزيز قال أظنه لبني نمير .. فتأخذ على رملة يقال لها : الوركة — نفود قنيفدة — فاذا جزتها وردت أهوى وأضَيْمر ماءان لبني حمان .. واهل المروت بنو حمان وهو جبل فيه مياه ومراتع ، فمنها السحامة لبني حمان وعليها طريق المنار وبناحية المروت تبراك ماءة لبني نمير في وادي المروت لازقة بالوركة .. فاذا جزت أهوى فمن ورائها مويهة يقال لها الاسودة من شاء وردها . ثم تجوز فتعبر رملة يقال لها : جراد — نفود السر — وهي رملة عظيمة . فاذا جزت جراد في مكان من حائل يقال له الهلباء—الحدباء— وحائل فلاة واسعة فيها لقشير وباهلة ونمير وغيرهم . وعن يسارك إذا كنت بأعلى الهلباء مياه لباهلة من السود .. انتهى ملخصاً .

فانظر أين وضع كلا من المروت وجراد — نفود السر — وحائل من

وصفه لتدرك حقيقة ما ذهبنا إليه . وعلى هذا يكون (الجـله) داخلاً في المروت ، وجزءاً منه .

وماذا بعـــد ؟؟

كنت قد أزمعت ان اتتبع نقد الأخ الجنيدل فقرة فقرة ، على نحو مـا سلف منذ تابع (المجاز) من الرياض حتى النهاية .. وإذا بالشقة سوف تطول في نقد النقـد ، إذا تجاوزنا وسمينا كلام الاخ الجنيدل نقـداً ، أما إذا أردنا الحقيقة فهو رحـلات يقوم بها على ميمنة الطريق وميسرته ، ليست من بحثنا في شيء .. فكما نأى إلى (ابي قتادة) و (الفاقعة) .. وما اليها وإلى (تادق) وإلى (الحمادة) واطراف (الوشوم) وإلى (المروت) .. فكأني به سوف ينـــأى إلى (السر) وإلى أطراف (الشرف) و (الشُريف) و (العرض) و (التسرير) بروافـــده وأطرافه وإلى أطراف (الحمى) و (النير) وما هنالك ، مما لست على استعداد لبحثه ودخول في مناقشة حوله ..

وكذلك فليعذرني الاستاذ الجنيدل إذا قلت: إن النقد الذي لا يتسم بالدقة والموضوعية ، من حقه الطرح ، وعدم الاحتفال به . ولا ابعد بنقد الاستاذ الجنيدل عن هذا النوع من النقد ، فمن الشواهد السابقة ندرك هذه الظواهر في نقد الاستاذ ، وإلا فكيف يسمح ناقد لنفسه أن يقع في الأخطاء التي مرت بنا ، بدون تثبت ، وما لم نناقشه مما سوف يأتي أكثر ، ككلامه عن (السر) و (السرير) و(التسرير) وكجعله اسرة آل السكران من بني زيد[1] وهم من الوهبة من تميم ، وما أكثر ما هنالك ..

أقول : ليعذرني الاستاذ الجنيدل عن متابعة نقده ، بل وربما عن قراءته ، والسابق من نقاشي يكفي عن اللاحق ، وما أخذه القاريء مما سبق ، يعتبر نموذجاً لما سيأتي . وشكراً له على اتاحة هذه الفرصة ، وللقاريء على جميل صبره وطول متابعته .

الرياض – عبدالله بن خميس

---

(١) هذا من أوهامي أنا ، أضفته إلى المقال خطأ . (حمد الجاسر)

مِن شعراء جنوب الجزيرة:

عبد الله بن جعفر
المتوفى سنة ٧١٣ هـ

شاعر فحل من شعراء القرن السابع الهجري نُعِتَ في كتب التاريخ بأديب اليَمَنَيْن (١) ، وشاعر الدولتين (٢) ، ومع مكانته الادبية ومنزلتـه الشعرية فقد كان من مشاهير الكتّاب في عصره مما أهّله لتولي ديوان الإنشاء في عهد الملك المؤيد (٣) داود بن يوسف المظفر الرسولي الغساني .

نشأته ونسبه :

نشأ في بلدة الزّبيدية في تهامة اليمن ، واتصل في مستهل حياته بابن زكريا – أحد أمراء الإقطاعيات في تلك الجهة – فكفـاه أمر المعيشة ، فتفرّغ لدراسة الادب ، حتى برع فيه ، وصار علَماً من أعلامـه ، واختصّ أولاً بمدح هذا الامير ، ومن أشهر قصائده فيه قصيدته التي مستهلها :

طرق النسيم بشيحه وبرنده

ولما نَبُهَ شأنه اتصل برجال الدولة الرسولية وبالأمير – داود المؤيـد – وكانت جائزته السنوية في الدولة الرسولية ألف دينار ، وعندما تولى المُلْكَ المؤيدُ أناط به وظيفة كاتب الإنشاء وهي أكبر وظيفة في الدولة بعد الوزارة أما نسبه فيرجع الى قبيلة (زعل) من عك بن عدنان .

---

(١) اليمنين : الأسفل تعز وما يليها ، والأعلى صنعاء وما يصاقبها .

(٢) الدولتين . كناية عن عهدي الملكين المظفر وابنه .

(٣) ولاه والده امارة صنعاء سنة ٦٨٧ وظل على ولايتها الى سنة ٦٩٢ فاستدعاه والده الى الى عاصمتهم مدينة (تعز) ، وفي سنة ٦٩٤ أسندت اليه امارة الشحر وحضرموت كترضية له عن تولي أخيه « الاشرف » للسلطة في حياة والدهما . وقد توفي الملك الوالد وتولى الملك «الأشرف» فتقدم المؤيد من الشحر على رأس جيش أعدّه فاستولى على عدن ولحـج . وفي عام ٦٩٥ قضى الملك الأشرف على معارضة أخيه المؤيد وساقه الى سجن تعز . وفي سنة ٦٩٦ توفي الملك الأشرف فخلفه المؤيد على عرش المملكة الرسولية .

مكانته الشعرية :

إذا دوسنا آثار هذا الشاعر نجده لا يقل شاعرية عن أضرابه من فحول شعراء العروبة الخالدين ، لولا ما ران على ذكره من الإهمال ، وحجب اسمه من النسيان، لانزواء جهته وعدم ذيوع أدبها في المحيط العربي العام ، يضاف الى ذلك التعصب المذهبي – بعد ذلك العهد الذي دفع كل طائفة الى عدم العناية بغير أدباء طائفتها . وابن جعفر كسلفه الشاعر ابن حِمْيَر سُنّيّ العقيدة ، وكذلك الدولة الرسولية – وبزوالها تم زوال خليفتها الدولة الطاهرية في اليمن لم يحظيا مع غيرهم بعناية تذكر ، وقد آن الأوان لتقدُّم الوعي وارتقاء الفكر العربي في كافة أنحاء بلادنا العربية للاعتزاز بذلك التراث الخالد ، وتمجيد رجاله ، والاستفادة من ذلك الارث الثمين ،والاستمتاع بذلك الفن الرفيع .

ان في شعر هذا الشاعر مميزات الشعر الحي وروعة الفن الاصيل ، من بداعة التصوير وجمال الاسلوب وقوة التعبير ، في حدود ما كان الشعر يرسمه في إشادة بالمحامد ، والتغني بالمآثر الشخصية والبطولة الفردية ووصف الجيش وتسجيل المعارك ووصف الحصون .

وفي رأيي لو كان هذا الشاعر عاش في (العراق) أو (الشام) أو (مصر) أو (المغرب) لما تأتّى لأدباء تلك الاقطار من وسائل الذيوع – لكان علماً من أعلام الأدب ونجماً لامعاً من نجوم الشعر .

هذا فيما يختص بـ (عبدالله بن جعفر) الشاعر أما فيما يختص بـ (عبدالله ابن جعفر) الذي شغل أكبر وظيفة بيانية في كتابة الإنشاء في الدولة الرسولية فهذا ما اعوزنا الوقوف عليه فلم نعثر على شيء من نثره الفني وبيانه – العالي:

شعــــره :

في سنة ٦٩٦ هـ ارتقى عرش الدولة الرسولية داود المؤيدُ خلفاً لأخيه المتوفي الملك الاشرف فتقدم الشعراء لتهنئته ومنهم الشاعر عبدالله بن جعفر بالقصيدة التي نورد منها هذه الأبيات :

أملك داود أم ملك ابن داود ؟ ... ما ان أقيس بكنعان ونمرود
أفي الرواق هزبرٌ تحت غابته ... أم الهزبر هزبر البأس والجود ؟
بين السماء وبين الأرض مزدحم ... من القنا والظبا والشُّزبِ القود
ومن ذوائب رايات إذا رفعت ... حسبتها طاردات بعد مطرود
تدافع الريح ان تجتاز ساحتها ... طوراً، وتكمن طوراً، في الأماليد
كأن أمواج بحر الهند من زَرَدٍ ... تفيض ما بين موضون ومسرود

* * *

لله من طود ملك في البلاد سما ... وظلّ أمن على الآفاق ممدود
ورثت دولة غسان كما ورثت ... أباؤك الغلب من اجدادك الصيد
نامت جفون البرايا في حماك وفي ... أجفان سيفك (.....)
فالأرض مشرقة، والسحب مغدقة ... والنبت ما بين مخضود ومنضود

* * *

كم أنعُمٌ لك ايام الخليفة لي ... قد كان أوّلُ مَسْقيٍّ بها عودي
ولي مواعيد من نعماك صادقة ... ومنك نعرف إنجاز المواعيد

إنه شعر غني عن الاشادة في بيانه الناصع وموسيقاه العذبة وجماله الفني الخالص .

وفي سنة ٦٩٨ هـ سار الملك المؤيد لإخضاع الثائرين بجبل (ظفار) فاذعنوا للطاعة وتسلم حصنيه المنيعين (العظيمة) و (الميقاع) فسجل لنا الشاعر تلك الغزوة بريشة الفن الخالد في هذه القصيدة الزاهية في مدح الملك المؤيد :

إرث الخلافة في يديك مشاعُ ... وغرار سيفك شاهد قطاعُ
شمس رأت غلب الملوك شعاعها ... فقلوبهم منها – تطير – شعاع
تبع (التبابع) في عناصر حِمْيَر ... وإلى المناقب هم له أتباع
عمرو وعمرو ، ذو الجناح ومنذر ... والأيهان وفائش وكلاع
ماء السماء سقى منابت أصله ... ربا ، فأورق عرقه النزاع

فلقد أعاض بيوسف يقظـان لا   نكــل ولا وكل ولا بجزاع

* * *

أسرى إلى الشرق القصي بشزب   خطواتها نحو المغـار سراع
والشمس من لمـع الحديد كليلةٌ   والجوُ من سمر اليراع يراع
وفيــالق سالت هوادي خيلها   سيل الأتِيّ ، تدافعته تــلاع
تسري فمن زرق الأسنـة فوقهـا   نارٌ ، ومن لمع السيوف شعاع
غسلت مياه سيوفها صِبْغَ الدجى   فتشابـه الإصباح والإهزاع
ينحو بها مبدا النجوم طوالعــاً   ملك مطيعٌ للاله مطــاع
ليس (العظيمة) بالعظيمة عند من   لسيوفه ميقاعها (ميقــاع)

* * *

أمؤيد الاسلام (داود) الذي   للعالمــين بفضله اجمــاع
أهويت بالسيف العداة كما هوى   (وَدٌ) بسيف (محمد)و(سُواعُ)
الله اعطاك السعادة كلهـا   ماذا يضر وربك النفـاع ؟

* * *

وليقف القـارىء الكريم وقفة قصيرة على هذا المقطع – الاوسط – من القصيدة فسيجده معنا يشع بالجمال اللفظي ، والتعبير الفني ، والشحنة المعنوية ، والجرس الموسيقي ، مع ومضة من الابتكار في نحو قوله (غسلت مياه) الخ وجمال التشبيه – قبله – في قوله (وفيـالق سالت هوادي خيلها) وقوله (تسري فمن لمع الأسنة فوقها) وندع الحكم فيما عدا ذلك لذوق القارىء الكريم:

وفي سنة ٧٠٠ تقدم المركب الملكي من (تَعِزّ) إلى مدينة زبيد ومنها نهض إلى وادي سُرْدُد ودخل بلدة (المَهْجم) في الف فـارس وهي قوة ترتج لها الأرض -- في ذلك التاريخ – فقال الشاعر قصيدته هذه :

لو كان يقدر أن يكون الزائرا   لك (سُرْدُدٌ) لمشى إليك مبادرا
منـع الجماد جموده أن يعتري   عتباتِ بابك وارداً أوْ صادرا

وتمرغت أرض على الأرض التي فيها مقامك أوجهاً ومحاجرا
شرفت (مَهْجَم) سردُد فتشرفت ورفعتها فوق النّجوم مفاخرا

* * *

أوردتها رجراجـةً جَفنْيَّةً خضراء طامية تفيض عساكرا
بحرٌ إذا ما الريح سارت فوقـه جعلت لمسلكها البنود قناطرا
شرعت صدور الخيل في حافاته حتى حسبت الفلك فيه مواخرا
أذكرته مغدي أبيك (١) (لمكة) وانابة منـه فأصبح ذاكرا
وكفاه فخراً ان يمس قساطلا لركابـكم ، ومناسماً وحوافرا
حظٌ يكون بـه تراب بلاده مسكاً ،وبرُعْمُه يعود جواهرا

* * *

عجباً لحلمك في الخلائق عادلا ولحـلم كفك في الخزائن خاطرا
ولحـد سيفك أين غاية حـده إذ ليس يبرح في الرقاب مسافرا
نارٌ بقبضة راحـة فيّاضـة كالبرق يصطحب الغمام الماطرا
ولقـد تعدى في الطلا أفعاله ضرباً ، وكن لها الفتوح مصادرا

* * *

ثبتتْ أصول الملك بين بيوتكم فسقيتموه سُؤْدُداً ومـآثرا
فحكت أواخركم بذاك أوائلا وحكت أوائلكم بذاك أواخرا
فبقيت – يا ركن الخلافة – دائما أبداً ، وكان لك المهيمن ناصرا

وقال يمدح الملك المؤيد وقد انشدها عنه الشيخ محمد بن خطاب في حفل عيد النحر الذي احتفل به الملك في مدينة (عدن) في سنة ٦٩٧ هـ .

---

(١) إشارة إلى حج أبيه الملك المظفر سنـــة ٦٥٩ تقول بعض المصادر : إنه حج في الف فارس ويباريه في البحر اسطول ومراكب تحمل المؤن وقد أسهب في وصف ابهة ذلك الموكب كل من الديْبَع والخزرجي .

أعلمت من قاد الجبال خيولا ... وأفاض من لمع السيوف سيولا ؟
وأماج بحراً من دلاص زاخر ... جرّت أسود الغاب منه ذيولا ؟
ومن القسي أهلة ما ينقضي ... منها الخضاب من النصول نصولا
وتزاحمت سمر القنا فتعانقت ... قرباً ، كما يلقى الخليل خليلا
فالغيث لا يلقي الطريق إلى الثرى ... والريح منه لا تطيق دُخولا
سحب سرت فيها السيوف بوارقاً ... وتجاوبت فيها الرعود صهيلا
طلعت اسنتها نجوماً في السما ... فتبادرت عنها النجوم افولا
تركت ديار الملحدين طلولا ... مما ابيح بها دماً مطلولا
والأرض ترجف تحتها من أفكل ... والجوّ يسحب شلوه مأكولا
حطمت جحافلها (الجحافل) حطمة ... .
طلبوا الفرار فمدّ أشطانَ القنا ... فأعاد معقلهم به معقولا
عرفوا الذي جهلوا فكل غضنفر ... في الناس عاد نعامة إجْفِيلا
اين الفرار ولا فرار وبعدهم ... من ليس يترك للفرار سبيلا
ملك إذا هاجت هوائج بأسه ... ترك العزيز من الملوك ذليلا
يقفو المظفر والشهيد مآثرا ... وعلي ، فخراً في الملوك أثيلا

* * *

وافى إلى (عدن) كمقدم جده ... سيف بن ذي يزن الكريم اصولا
بحرٌ إلى بحر يسير بمثله ... والبحر أحقر أن يكون مثيلا
فتطايرت أمواج لجته إلى ... (عيذاب) ينذر دجلة والنيلا
وتقبلت عدن جبينك والتقت ... في ملتقاه سعادة وقبولا
فالشمس تحسد تاجك المعقود والـ ... إكليل ، يحسد ذلك الإكيلا
لو يستطيع الثغر كان مقبّلا ... بالثغر منه ركابكم تقبيلا
إن جاورت هذي الشمائل بحره ... جعلت مذاق الماء منه شَمُولا
اليوم قد وهب الإله لخلقه ... ظلاً على الأقطار منه ظليلا

* * *

اهِزَبْر َغسانِ بن قحطان الذي ... يدعوه في النسب القبيل قبيلا
في كل يوم لا برحت مقابـلا ... فتحـاً من الملك الجليل جليلا
في حيث مارفعت بنودك نُزّلَتْ ... آيات نصرك فوقهـا تنزيـلا
لولا العوائق والعـلائق لم اعب ... عن ظل بابك بكرة واصيـلا
ومن التكرم والتفضل لم يزل ... عذري إلى صدقاتكم مقبولا
لا زال توفيق الإله مقارنـاً ... لك حيث كنت إقامـة ورحيلا

* * *

وقال يهنيء الملك المؤيد بعيد النحر سنة ٧٠١ هـ وقـد أرسلها اليه إلى معسكره في جهة جبل ظفار من اعمـال اليمن الأعلى لقمع بعض الثائرين من أصحاب الحصون المنيعة :

فعلت بمهجتك النوى أفعالهـا ... لما حدت تلك الحداة جِمالهـا
متحملاً ثقل الهوى لمـا رآى ... عيس الأحبّةِ حملت أثقالها

إلى أن قال :

يامُنضِي البكرات في طلب الغنى ... مـا ان تراقب أينَهـا وكلالها
إن لم تشدّ رحالها يوماً إلى ... سُوحِ الهِزَبرِ ، فلا تشد رحالها
ساد الملوك فلا تكون مثاله ... أبد الزمان ولا يكون مثالها
ودعت بداود الهداية حينما ... عثرت ، فقال لها : لَـعاً وأقالها
رحوى الخلافة لم تكن إلاّ له ... طول الزمان ولم يكن إلاّ لها
ملك إذا شن الجياد لغـارة ... جعل الخدود من الملوك نعالها
وتذكروا بالمنجنيق عليـهم ... يوم القيامة إذْ رأوْا أهوالها
فرموا اليها بالحصون مخافة ... من رميها ، ومن القِسِيّ نبالها
يا بْنَ المظفر يا هزبر الدين يا ... داود ، منتخب الورى مفضالها
لا زلت تقسم للمرجي فضلةً ... من راحتيك ، وللعِدّى آجالها

وقال مادحاً الملك المؤيد ، وأنشدها بين يديه في يوم عيد الفطر بمدينة تعز سنة ٧٠٢ ﻫ :

أثمارُ هذا القضيب الرطب ألوان ... كرمٌ وطلعٌ وتفاحٌ ورمانُ
أهكذا الفضة البيضاء قد نبتت ... غصن وزهر بها في الخد عقيان
ظبي مباسمه درٌ وريقته ... خمرٌ ، وأنفاسُه روحٌ وريحان
وأضرم الحسن في أمواج وجنته ... ناراً لها مهج الأكباد قربان
عجبت إذ نبت المرجان في فمه ... وقبلها لم يكن في العذب مرجان
هذي دموعي بوجدي فيك شاهدة ... ينبيك بالشأن ما يجري به الشان
ما اختص ناظرك الساجي لأنفسنا ... بفتنة كُلُّ شيءٍ منك فتّان
لا تمش بالصب في طرق الهوى مرحاً ... واقصد كما قال في فحواه (لقمان)
أتستبيح جهاراً قتل أنفسنا ... والأرض فيها هزبر الدين سلطان؟
سيف من الله لولا حدّه عُبِدَت ... مع المهيمن أصنام وأوثان
ملك مكارمه غيث ، ونجدته ... غوث ، وأيامه أمنٌ وإيمان
في سلمه لشديد السلم مَدْرَأةٌ ... يرضي الإله، وحد السيف غضبان
مستحسنات صفات الناس قد جمعت ... فيه، فدعهم فأهل الأرض إنسان
لم لا ويوسف شمس الدين منبته ... ومنبت الأصل قابوس ونعمان ؟
وتبّع الأكبر السامي وذو يزن ... عمٌ، وبيتك (صرواح) و(غمدان)
تلك المعاهد من قحطان إن عدموا ... فالمؤيد ، عادوا مثل ما كانوا
كأنما الشهب من ظلمائه قنص ... تخطفته من الرايات عقبان
كأن روس رماحٍ فوقها رفعت ... منها على الجوّ، أحواض وغُدران
فيها القنا شهبٌ، والجوّ ملتهب ... والسيف مختطب، والقوس مرنان
كأن حصن (ظفار) تحت لجتها ... من الهلاك ابن نوح وهي طوفان
حتى لظنوا بأن الأرض قد طويت ... وأن موضعها خيل وفرسان
مطاعة كلما نادت برفع يدٍ ... تبادرت نحوها دُوْرٌ وحيطان
حتى إذا طحنتهم تحت كلكلها ... شهباء منها يطيش الإنس والجان
تشفعوا بكتاب الله وارتفعت ... أمامه صحفٌ فيهن قرآن

فردٌ عنهم حياء ، من كرامتها زاكي الأصول كريم الخيم يقظان
ومَنْ (داود) في الأسرى فأطلقهم جودا ، وإنْ هزبر الدين منّان
ووائق (القنـّة) الشماء مشرقة على (ظفار) بها جيشٌ وبنيان
كمثل( )[1] نون الأرض تحرسه من أن يميل له بالأرض أركان

* * *

ما ضَرّ داود مالٌ ظل ينفقه داود بحرٌ بـه المرجان مجان
ما ضاع مـا ضيعوه في رفاقتهم لقد وقفت لهم في حيث ما كانوا..
أنت المليك الذي في عصره أمنت من عصرهن عناقيد وقنوان
وَطهر الله أرضاً أنت مالكها من أن يكون بها كفر وعصيان
جددت في مشترى عنقي لكم شرفاً و(للجميل[2]) من المعروف أثمان
سقيت غرسي بإنعام تجدده ومن سجاياك الإحسان إحسان
هنئت يا ملك اليمن ابن مالكهـا ثلاثة هـن للأفراح صنوان
نصرٌ وجيشٌ قدومٌ جاء بعدهما عيد بوجهك من داود مزدان
وفي الليالي فنون من سعادتكم إن الليالي لمـا تهواه خزان
فلا برحت على مَرّ الزمان كذا ولا خلت منك أوقات وأحيان

* * *

وفي النصف الأول من عام ٧٠٦ نجم ثائر في جهة (وصاب) يدعى (ابن صهيب) فاستولى على حصن (النشابة) وهو من الحصون المنيعة ، فسار الملك بنفسه على رأس جيشه فأذعن الثائر وسلم الحصن فقال الشاعر في ذلك هذه القصيدة :

ترك الجبال الشم قاعـاً صفصفا من وعده ووعيده مـا أخلفا

---

(١) كلمة غير مفهومة .

(٢) في الأصل « وللعبيد » وهي كلمة نابية في قاموس الإنسانية قابلناها بكلمة « وللجميل » والتنبيه .

متقاضياً ميراثه مستشهداً سمر العوالي والصفيحَ المُرْهَفَا
تغفو عيون الطامعين نفوسهم عن نيل ما طلبوا وكلا ما غَفَا
جمع الجيوش إلى المغاور لو أتى للحرب قبل جيوشه فَرْداً كفى
لا يستقر الدارعون لبطشه حسب الرماد بعاصف أن ينسفا
دأب المؤيد أن يسل على العدى سيفاً ، وحسب رقابهم أن تقطفا
ترضى ملوك الأرض أيسر حقها منه ، وتفرح من وفاه باللفا
العاقد الرايات لم يك زاجراً طيراً بسرحها ولا متعيّفا
بحبائس للحرب ليس حبائسا تمسي وتصبح في المراكز عكفا
قامت عقاب المنجنيق وراءها فأشار مولانا بأن تتخلفا
جمعت جناحيها ومدت عنقها للسير في أثر الخميس وترحفا
نَوْءٌ يجلجل من زبيد رعده الـ ساري فصاب (وصاب) غيثاً وكفا
حتى إذا ما السيف بالغ خطوه فيها وحثحثه السياق فأوجفا
وجرت سيول من دم لو أنها ماءٌ لكان ربيعهم والصيّفا
ورأوا من النيران حول قلاعهم عدد الكواكب في السماء ونيفا
فتوجسوا أنّ الطبول زلازلٌ كادت بهم وبطورهم أن تخسفا
طرحوا نفوسهم على أبوابه فعفا ، ومثل أبي المظفّر من عفا
هربوا إليه منه والتجأوا به ولكم أجار الهارب المتخوفا
فأقال عثرتهم وعاد بهم إلى ما أورثته بنو الرسول من الوفا
وأتت عقائل في الحجاب فجاورت منه الكريم الطاهر المتعففا
من لم يُمَدّ إلى الخنا طرفاً ولم يسحب إلى طرق الفواحش مطرفا
يدعون: يا سلطان عفواً بالرضا!! فأجابهم وأثابهم وتعطفا

قال المؤرخ الخزرجي : (في سنة ٧٠٨ هـ كملت عمارة القصر (الملكي) المسمى بـ (المعقلي) في (ثعبات) وهو قصر قصرت المحاسن في نواحيه ، واطلعت الإجادة في أفق معاليه) إلى أن يقول : (أجمع أرباب اختراق

الآفاق أنه لا مثيل له في شام ولا عراق ، وانهم لم يشاهدوا مثله أبدا ، وهو مجلس طوله خمسة وعشرون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً بسقفين مذهبين بغير أعمدة ، له أربعة مناظر بأربعة رواشين ليس فيه إلا رخام وذهب ، وأمامه بركة طولها مائة ذراع في عرض خمسين ذراعاً ، على حافاتها طيور ووحوش من صفر أصفر ترمي الماء من أفواهها ، وفي وسط البركة فوارة ترمي الماء عالياً ، فيبلغ مدى بعيداً ، وقبلته شاذروان بعيد المدى ، يصب ماؤه إلى البركة كأنه لوح من بلور ، لا يمكن التعبير عنه بغير هذا ، وفي المجلس شبابيك تفضي إلى بستان عجيب المنظر حسن المخبر . وكانت إقامة الصناع في عمله سبع سنين،سمعت من يحكي ممن أدرك أيام عمارته انه كان يطلع إليه كل يوم نحو من سبعين بغل تحمل الصناع الغرباء ما بين نجار ودهان ونحاس وصانع ، ومكندج ومرخم ومزخرف ومصور ، خارجاً عمن يركب الحمير ومن لا يركب من أتباعهم ، وهذا عدا صناع البلاد وهم أضعاف أضعافهم ، ولما تمت عمارته أمر الملك بإقامة (حفل) دعي إليه أعيان الناس وعامتهم ، وجلس الملك يتشرف عليهم من الطبقة الثانية وقام الشعراء بإنشاد قصائدهم ومنهم عبد الباقي بن عبد المجيد[1] وعبدالله بن جعفر الذي ألقى قصيدته هذه :

هنئت قصر على كل القصور سما ... يا حبذا برج سعد فيه بدر سما
بنيته مستجداً تستجدّ به ... نصرا من الله قد أجرى به القلما
ويلتقي الأمن واليمن المقيم به ... والخلد والعز والأفراح والنعما
هل في الخلافة آيات تشاهدها ... وقوف سقف ولا شيء به دعما

(١) سننشر بحثاً خاصاً عن شخصية هذا المؤرخ الشاعر الكاتب والذي عُدّ من أعيان الكتاب في عصره مثل القاضي الفاضل وضياء الدين بن الأثير ومحي الدين بن الظاهر وغيرهم ، مع تحقيق يثبت انه عدني المولد والمنشأ بخلاف ما أجمع عليه مترجموه . مثل النويري في « نهاية الارب » ، والقلقشندي في « صبح الأعشى » ، وابن حجر في « الدرر الكامنة » ، والمقريزي في « السلوك » ، وابن شاكر في « فوات الوفيات » ، وابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » وغيرهم بأنه مكي المولد والمنشأ ، معتمدين في ذلك على مصدر تاريخي موثوق ، وسنخص مجلتنا « العرب » بهذا البحث الوافي .

وأبصر التـــبر مبذولاً لطالبه فنال من دونه ذوباً بـه رقما
بين الحدائق والأعناب قد نشرت منها ثياب تلفّ الوهد والأكما
كأنما عاد (غمدان) كمبدئه وأظهر الله من أستاره إرما
كأن أرقعة الجوزاء روشنه والحركتان ، كأن الفرقدين هما
بـــين الشبيهين شاذروان قبلته هما الجناحان يهو القصر بينهما
تظل منه صفوف المـاء خاضعة مؤدّيات لسلطان الورى خدما
إلى سواقي رخامٍ فوق فسقية فاعجب لجامد ماء فيه ذائب ما
وللخورنق حين (المعقلي) بـدا كمثل ضدٍّ إذا قابلته انهزما
لم يستطع لوقوف في مناظرة أمـــامه فتولى عنه محتشما
كأنه رب جيش قـد طلعت له ففرّ عنك بروح منـــه مغتنما
فحله في سعود في علُـوّ يَـــدِ في رفعة ، في بقاءٍ ليس منصرما
في حقن كل دِما ، أو كشف كل عَما أو ريٍّ كل ظما ، أو منع كل حما
أحييت من يوسف السامي مآثره مذ وجدت ، بحمد الله ما عدما

ورفع للملك المؤيد يعزيه بوفاة ابنه (المظفر حسن) :

أمولى المـــلوك وسلطانهـا ويا من له طـــاعة تفترض
فـلا ملك ناقـص عـقـده ولا ملك عـاقد مـا نقض
ولا عوض منك في ذا الورى وكل الورى أنت منهم عوض

هذا كل ما عثرنا عليه من شعر هذا الشاعر الفحل قدمناه في هذه الكلمة الموجزة ؛ وختاماً نورد مـا جاء في كتب تاريخ جنوب الجزيرة عن حياته ووفاته . قال الجندي : (كان ابن جعفر شاعراً فاضلاً ذا دين رصين لم يحك عنه ما يشين من شرب وغيره ، وصولاً لرحمه قائماً بأصحابه صار في الدولة المؤيدية كاتب الإنشاء) .. إلى أن قال : (أهدى إليه والدي ديوان المعجاج وكتب أبياتاً وبعثني بها وبالديوان فعاد جوابه على الأبيات بأبيات منها :

أهلاً بنعمة سيد الفضـلاء وبمـا يقدم من يـد بيضاء
ما إنْ سمعت ولا رأيت كمنعم أهدى الجواهر أوّل الإهـداء

الرّبان أحمد بن ماجد [٧]

[دفـــاع وتقييم]

- ٢ -

واسترعى انتباهه ان سكان سفالة من السود ، كسكان غينيا ، فتصوّرهما بلداً واحدا [١] ، وقدر ان دياز ورفاقه الذي كانوا يبحرون وقتئـــذ نحو الجنوب على مقربة من السواحل الافريقية الغربية سيصلون الى سفالة إذا

وقال حسين الأهدل في كتابه « تحفة الزمن » : (هو أبو محمد عبد الله ابن علي بن جعفر شاعر اليمنين وأديب الدولتين) . وأورد المؤرخ الخزرجي في كتابه « العقود اللؤلؤية » خبر وفاته فقال : (وفي هذه السنة – يقصد سنة ٧١٣ – توفي الأديب الفاضل أديب اليمنين وشاعر الدولتين ، وكان شاعراً فصيحا ، بارعاً فاضلا ظريفاً بليغاً وقد أوردنا له في كتابنا هذا من شعره ما فيه دليل على فضله؛ وكان ذا دين رصين لم يحك عنه شيء يشين دينه ولا عرضه ..) الـخ .

وقد أشار غير واحد إلى أن له ديواناً ، وإنمـــا يظهر أنه الآن غير موجود .

جازان محمد بن أحمد العقيلي

---

(١) يحاول كوفلهام أن يتظاهر بالذكاء والشطارة ، فيزعم انه اهتدى الى ان غينيا وسفالة بلداً واحداً من كون سكانها معاً من السود . ان سكان جميع السواحل الافريقية التي زارها ، هم من السود . فلماذا لا تكون تلك السواحل جميعها وغينيا بلداً واحداً ، طالما وحدة اللون تحتم وحدة البلاد ؟ لقد عرف هذا الجاسوس في سفالة بوجود طريق بحرية الى السواحل الافريقية فادعى انه توصل الى تلك المعرفة بذكائه وألمعيته ؛ والقصد من هذا الادعـــاء واضح – وهو الحظوة في عيني سيده .

الربّان أحمد بن ماجد

[دفـــاع وتقييم]

- ٢ -

واسترعى انتباهه ان سكان سفالة من السود ، كسكان غينيا ، فتصوّرهما بلداً واحدا [1] ، وقدر ان دياز ورفاقه الذي كانوا يبحرون وقتئـــذ نحو الجنوب على مقربة من السواحل الافريقية الغربية سيصلون الى سفالة إذا

وقال حسين الأهدل في كتابه « تحفة الزمن » : (هو أبو محمد عبد الله ابن علي بن جعفر شاعر اليمنين وأديب الدولتين) . وأورد المؤرخ الخزرجي في كتابه « العقود اللؤلؤية » خبر وفاته فقال : (وفي هذه السنة — يقصد سنة ٧١٣ — توفي الأديب الفاضل أديب اليمنين وشاعر الدولتين ، وكان شاعراً فصيحا ، بارعاً فاضلاً ظريفاً بليغاً وقد أوردنا له في كتابنا هذا من شعره ما فيه دليل على فضله؛ وكان ذا دين رصين لم يحك عنه شيء يشين دينه ولا عرضه ..) الـخ .

وقد أشار غير واحد إلى أن له ديواناً ، وإنمـــا يظهر أنه الآن غير موجود .

جازان — محمد بن أحمد العقيلي

---

(١) يحاول كوفلهام أن يتظاهر بالذكاء والشطارة ، فيزعم انه اهتدى الى ان غينيا وسفالة بلداً واحداً من كون سكانها معاً من السود . ان سكان جميع السواحل الافريقية التي زارها ، هم من السود . فلماذا لا تكون تلك السواحل جميعها وغينيا بلداً واحداً ، طالما وحدة اللون تحتم وحدة البلاد ؟ لقد عرف هذا الجاسوس في سفالة بوجود طريق بحرية الى السواحل الافريقية فادعى انه توصل الى تلك المعرفة بذكائه وألمعيته ؛ والقصد من هذا الادعـــاء واضح — وهو الحظوة في عيني سيده .

واصلوا سيرهم بمحاذاة السواحل ؛ وبعدها تصبح الطريق مفتوحة أمامهم الى الهند .

وبعد أن درس الوضع التجاري في تلك المناطق ، قرر أن يضع حداً لمغامراته ، الى أن يتيسر له إبلاغ المعلومات الثمينة التي حصل عليها الى سيده ملك البرتغال . فعاد إلى زيلع ومنها الى عدن فالطور والقاهرة ،حيث علم بموت بافيا قبل زمن قصير .

وبينما كان يتأهب للعودة الى البرتغال ، وافاه من قبل الملك حنا رسولان يهوديان ، هما الحاخام ابراهيم البيخي ، والإسكافي يوسف الميجي . وكان قد سبقا لهما أن زارا فارس وبغداد ، وأبلغا ملك البرتغال بما شاهداه في جزيرة هرمز من التوابل والنفائس الثمينة ، وقدّما اليه وصفاً للبلاد العربية في السواحل الافريقية الشرقية الجنوبية ، وزعما ان سفناً عربية طوّحت بها الرياح ، فاجتازت رأس الرجاء الصالح ؛ وانها عندما عادت ذكرت ان ذلك الرأس يتجه عند طرفه الغربي ، نحو الشمال [٢] . فأمرهما الملك بالعودة الى هرمز ، لموافاته بالمزيد من المعلومات . وقد سلمها كتاباً لكوفلهام ، يعرب فيه عن أمله في أن يكون وزميله بافيا ، قد وفقا الى معرفة برستر جون ، ويطلب منهما أن يعودا في الحال الى البرتغال ، إذا كانا قد تمكنا من إتمام تلك المهمة ، وإلا فعليهما أن يواصلا السعي للوصول الى معرفته على أن يبعثا مع الإسكافي اليهودي بتقرير عما توصلا اليه .

وقرر كوفلهام أن يصطحب الحاخام ابراهيم الى هرمز . ولما كان يعتقد ان برثلميو دياز ما يزال في رحلته يفتش عن طريق الى الهند ، فقد طلب من الملك إبلاغه الرسالة التالية :

« إذا واصلت السير جنوباً ، فلا بد أن تصل الى طرف القارة . وعندما تصل الى المحيط الهندي ، اطلب من رجالك أن يسألوا عن سفالة وجزيرة

(٢) Sir Harry H. Johnston , A history of the Colanization of Africa by Aliens Races, p. 81-2n.

القمر ، فستجدون ثمة من الربابنة من يدلكم على الطريق الى الهند » .

وسافر كوفلهام والحاخام ابراهيم الى هرمز . ومنهـا إلى بغداد وأماكن كثيرة أخرى ، سعياً وراء المعلومات . لقد مضى على كوفلهام حـتى الآن ما يقرب من ثلاث سنوات منذ غادر البرتغال ، ومـا يزال برستر جون ، لغزاً مبهما بالنسبة اليه ، فقرر أن يرسل الحاخام الى البرتغـال بتقرير عن أسفاره الأخيرة ، وأن يذهب بنفسه إلى الحبشة ، ليرى ما إذا كان امبراطورهـا هو برسترجون أم لا . فتوجه أولاً إلى بيت المقدس ، ثم الى سيناء ، وركب البحر في الطور الى عدن ، وزار في طريقه مكـة والمدينة ، ووصل أخيراً إلى زيلع ، حيث بلغه ان النجاشي كان في ذلك الوقت على مقربة من الساحل ، فتوجّه اليه . ولكننا لن نقتفي آثاره في الحبشة ، ويكفي أن نـذكر أن أباطرتها احتجزوه فيها طيلة حياته ، عزيزاً مكرّماً حيناً ، رذليـلا مهاناً حيناً آخر ، فقد أدركوا حقيقته منذ اللحظة الأولى .

لقد كانت لجهوده وجهود زملائه الآخرين ، نتائـج عظيمة الأثر في تاريخ العالم . فقد استبانت معالم الطريق البحري إلى الهند ، نتيجة للتقارير الـتي رفعوها عن الهند والبلاد العربية وافريقية الشرقية ، واتضح انـه من الممكن أن تصل السفن البرتغالية إلى الهند إذا واصلت تطوافها بالسواحل الافريقية حتى تصل إلى سفالة : حيث يتسنى لها الحصول على الأدلاء الذين يعرفون بقية الطريق معرفة تامة . ولكن البرتغال ترددت طويـلاً في القيـام بتلك الخطوة الحاسمة ، بعد ما أبداه ملكها حنا الثاني ، من رغبة ملحة في تحقيق ذلك الهدف . فهل قنعت بما أخذ يتدفق على خزائنها من ثراء ، غنـاً لما كانت تغتصبه حملات النهب والسلب التي كانت تجرّدها على السواحل الافريقيـة لاقتنـاص « الذهب الأسود » ، واغتصاب الذهب الاحمر ؟ أم كان ترددها هذا لاعتبارات أخرى سياسية وعسكرية ؟

كولمبوس يكتشف اميركا :

لفتت كشوف البرتغال أنظار العالم الى هذا المنبع الهائل من منابع الثروة

خزائنه ، إذا هو أنفذ الحملة التي كان سلفه الملك حنا الثاني يزمع تجريدها إلى الشرق ، شريطة أن يكل قيادتهـا إلى من تتوفر فيه شروط معينة . ويقول مؤرخو البرتغال : ان زاكوت لم يسم من كان يرشحه للقيادة . ومع ذلك فقد وقع اختيار الملك بصورة غامضة على فاسكو دي جاما ، تلميذ زاكوت بالذات . والمرء لا يملك إلا أن يلاحظ تكالب اليهـود على حبك المؤامرات ضد العرب والمسلمين، والتحريض على شن الحرب عليهم عن طريق التجسس والتنجيم وغير ذلك من وسائل الوقيعة والدس ، حتى في ذلك العهد البعيد .

إعداد الحملة وإنفاذها :

تألفت الحملة من أربع سفن : ثلاث منها تم بناؤها لتلك الحملة خصيصاً ، تحت إشراف برثلميو دياز،واختيرت الرابعة من بين السفن التجارية لمؤن الحملة . واختير رجال الحملة بعناية فائقة ، وهيئوا تهيئة خاصة . وكان بعضهم ممن صحبوا برثلميو دياز إلى رأس الرجاء الصالح، وسلحت السفن تسليحاً جيداً، وجهزت تجهيزاً تاماً يكفي الحملة ثلاث سنوات . ودرب زاكوت اليهودي ربابنة السفن ومعاونيهم على استعمال الاسطرلاب، وأعطي لكل ربان خريطة كبيرة تحتوي على خطوط ملونة لمعرفة اتجاه الرياح وأسمائها .

وحصل فاسكو دي جاما على نسخة من جغرافية بتولمي ، ومقتطفات من رحلات الإيطاليين ، ونسخة من ترجمة ابن بطوطة وغيره من الرحالين العرب. كما حصل كذلك على نسخة من خريطة فرا مورو ، وعلى نسخة من تقارير الجاسوس البرتغالي كوفلهام عن رحلاته في الشرق والخرائط التي وضعها للسواحل التي زارها .

وقبل الموعد المحدد لإقلاع الحملة بيوم واحد ، خطب الملك في قادتهـا ، وذكرهم بما ينتظره منهم من العمل على نشر الدين المسيحي ، كما ذكرهم أن من واجبهم في الوقت ذاته البحث عن أحسن السبل للحصول على ثروات الشرق وخيراته ، واستشهد بماركو بولو عما في الشرق من ثروة وغنى ، وعزا إلى تلك الخيرات ما تتمتع به الموانيء الإيطالية ، وخاصة البندقية ،

من القوة والصولة . وأوضح بكل جلاء أن الجمهوريات الإيطالية مدينة برخائها جميعه إلى تجارة البهارات .

قرصنة وغطرسة :

وأقلعت الحملة في ٩ يوليو سنة ١٤٩٧ م ، وبعد أربعة أشهر ألقت مراسيها في خليج سانت هيلانة في جنوب افريقية ، بعد أن طافت برأس الرجاء الصالح ، ثم مضت تتنقل بين السواحل الافريقية حتى طوت أشرعتها في ميناء موزمبيق في أوائل مارس سنة ١٤٩٨ م ، وكانت أثناء ذلك تمارس القرصنة ضد السفن الوطنية ، ومع ذلك ، فحينما اقتربت من المدينة استقبلت بالترحاب والتكريم ، واقترب عدد من الزوارق الأهلية من السفن البرتغالية ، وصعد إليها عدد من الرجال ، وتناولوا ما قدم إليهم من طعام وشراب .

غير أن هذا الجو الودي ، سرعان ما انقلب إلى ضده . فعلى الرغم من الاستقبالات الحافلة التي لقيتها السفن البرتغالية في أغلب الأماكن التي زارتها ، والصلات الودية التي حاول السلاطين الوطنيون عقدها مع رجال الحملة وقادتها ، ومبادرتهم إلى تقديم المؤن والخدمات اليها ، وتلبية جميع طلباتها ؛ وهي تصرفات عادية وطبيعية ، يعرفها كل من له صلة بمثل هذه المجتمعات الشرقية ؛ نقول : على الرغم من كل ما تكشفت عنه الطبيعة الشرقية من طيب وكرم وحفاوة بالغة بالضيف الغريب ، واستعداد لتقديم كافة المساعدات الممكنة إليه ، فإن معاملة البرتغاليين للوطنيين اتسمت بالتعالي والغطرسة . وكانت تصرفاتهم تجاه السلاطين مشوبة بكثير من الشكوك التي كانت بطبيعة الحال تولد شكوكاً مماثلة لدى الوطنيين في رجال الحملة وأهدافها . ولذلك فقد كانت زيارات البرتغاليين للموانيء الافريقية تنتهي دائماً إلى صدام مسلح بينهم وبين السكان . وكان الارهاب سلاح البرتغاليين المفضل لإرغام الوطنيين على تنفيذ رغباتهم الجائرة ، ومطالبهم الشاذة ، فلم تسلم ميناء واحدة من الموانيء التي نكبت بزياراتهم لها من قرصنتهم ، ومحاولتهم تطبيق أساليب ديوان التفتيش على سكانها ، كجلد من يقع من أهلها في أيديهم لأتفه الاسباب ، وصب الزيت المغلي على أجسادهم ، لحملهم على الاعتراف بمؤامرات وهمية كان

البرتغاليون يتصورون الوطنيين يحوكونها ضدهم . حتى ملندي الـتي فتحت ذراعيها لهم منذ اللحظة الأولى ووضع سلطانها جميع مواردها تحت تصرفهم، نكاية بسلطان ممباسة ، لمـــا بينهما من عداء مستحكم ، لم تسلم من شكوكهم السوداء ، وتصرفاتهم الجائرة . لقـــد أبى فاسكودي جاما أن يلبي دعوة سلطانها لزيارة قصره ، كيما يتمكن أبوه المقعد الذي كان شديد الرغبـة في رؤية دي جاما ، من تحقيق تلك الرغبة . ولما أبدى السلطان استعداده لوضع نفسه واولاده رهائن عند البرتغاليين ، حتى يعود دي جاما من القصر، رفض فاسكو هذا العرض ، متذرعاً بأن سيده ملك البرتغال حرم عليه النزول إلى البر مهما كانت الأسباب . وحينما تأخر السلطان في ارسال ربانين كان قد وعد دي جاما بهما ليدلاه على الطريق إلى الهند ، انتهز دي جاما زيارة احد امناء السلطان له على ظهر سفينتـــه ، فأمر بالقاء القبض عليه ، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن ارسل السلطان اليه رباناً من الهنود .

وتحقق الهدف :

واقلعت الحملة البرتغالية من ملندي في ٢٤ ابريل سنة ١٤٩٨ م تحت ارشاد الربانين الهنديين ، وأحدهمـــا يدعى المعلم كانا ، أو كاناكا ، وهو مسلم من كجرات (١)، وفي ليلة الـ ٢٨ من مايو القت مراسيها على مقربة من كليكوت.

يقول الاستاذ بانيكار : ولسنا في حاجـة الى اطالة الحديث عن رحلة دي جاما . لقد توفرت له معونة الملاحين والبحارة الذين تم تدريبهم في مدرسة هنري الكبرى ، فكانوا على معرفة بالبحر حتى رأس الرجاء الصالح . أمـا عن الساحل الافريقي الشرقي ، فان الرحلة حوله حتى موزمبيق لم تكن تنطوي على صعوبات تذكر . وقد تولى ارشاد فاسكودي جاما إلى عبور المحيط الهندي ربان هندي ، وضعه تحت تصرفه ملك ملندى . وعلينا ان نتذكر ان المحيط الهندي ومن ضمنه الساحل الافريقي كله كان قد تم اكتشافه ، قبل قرون ، على أيدي الملاحين الهنود ، وكانت السفن الهندية ، ترتاد الموانيء

(١) الروايات البرتغالية متضاربة في عدد الربابنة الذين رافقوا دي جاما من ملندي إلى الهند ، وهل كانوا واحداً ام اثنين ؟

الافريقية ، وتعرف مدغشقر بصورة مؤكدة . أما هل طافت برأس الرجاء الصالح وارتادت سواحله الغربية ، فأمر لا نعرفه على التحقيق . ويذكر هدسن انه قيل لكوفلهام : ان في تلك البحار (أي المحيط الهندي) ثمة بعض العلم عن وجود منفذ إلى البحار الغربية ، لأن العلماء المذكورين ، قالوا انهم وجدوا بعض الذكر لتلك المسألة . ويزيد هذه المسألة بياناً بإشارته إلى خرائط فرا مورو .

ان لدى فرا مورو رواية عن رحلتين من الهند مرتا بطرف افريقية الجنوبي، وهو يسمى الرأس الجنوبي باسم « دياب » ، ويقول ان سفينة هندية [٢] جرفتها العواصف حوالي سنة ١٤٢٠ م إلى هذه المنطقة ، فاستمرت في طريقها غرباً مدة أربعين يوماً تقريباً ، قطعت خلالها الفي ميل دون أن تبلغ اليابسة. وكذلك فان فرا مورو تحدث بنفسه مع احد الثقات ، فأخبره أنه أبحر من الهند ، وجاوز سفالة ، إلى مكان يدعى جاربين Garbin على الشاطيء الافريقي الغربي . وعلى هذا ، فان المحيط الهندي بحر قد تم ارتياده ،وعرفت مسالكه ، وأن وصول دي جاما الى كليكوت ، كعمل باهر ، لا يمكن أن يضاهي ما حققه دياز الذي بلغ رأس الرجاء الصالح . ومع ذلك فانه تحقيق للحلم العظيم ، وتتويج لما تم انجازه خلال سبعين سنة [١] .

* * *

(٣) احمد بن ماجد

ما صلته بالبرتغاليين ؟

بسطنا القول فيما سلف عن قصة وصول البرتغاليين إلى الهند . فما صلة احمد بن ماجد بها ؟

---

(٢) كراتشكوفسكي يؤكد في تاريخ الادب الجغرافي العربي ص ٦٢ ه ان السفينة كانت عربية.

(١) K, M, panikkar, Asia and Wester Dominance, pp. 32-33

لا صلة له بها البتة ، اللهم الا ما يقال من « أنه هو نفسه الربان الذي قاد سفينة فاسكودي جاما البرتغالي ، من ساحل افريقيا الشرقي الى الهند ، لأول مرة عام ١٤٩٨ م » . فما صحة هذا القول ؟

الارضية التاريخية :

١ — لم يأت وصول البرتغاليين إلى الهند عن طريق الصدفـة ، وانما جاء نتيجة لجهود متواصلة استمرت اكثر من سبعين سنة من الزمن ، كما مر بنا . وكانوا حينما وصلوا إلى افريقية الشرقية لأول مرة ، على بينة من أمرهم ، ويعرفون أن أي ربان من عشرات الربابنة الذين يقطعون المحيط الهندي سنوياً ، ما بين السواحل الافريقية والسواحل الهندية ، قادر على قيادتهم إلى الهند ؛ فقد سبق للجاسوس البرتغالي كوفلهام أن « اكتشف » هذا الطريق من قبل ، ووصفه وصفاً دقيقاً ، عرف البرتغاليين معالمه بصورة شاملة ، كما وصف الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة آنذاك في المحيط الهندي .

٢ — اننا لا نجد مؤرخاً برتغالياً واحداً ممن عاصروا فاسكودي جاما ، وعنوا بتأريخ رحلاتـه ، أو ممن جاؤوا على آثارهم ، قد مر على لسانه اسم « احمد بن ماجد » ولو بصورة محرفة ، كما هو شأنهم بالنسبة للاعلام العربية . أما الربان الذي قاد سفينة دي جاما من ملندى إلى كليكوت ، فيطلقون عليه لقب كانا أو كانا كا ، ويجمعون على كونه « هندياً » من كجرات .

صحيح ان مؤلفات هؤلاء المؤرخين لم تطبع إلا بعد نصف قرن تقريباً من رحلة دي جاما [٢] ، وربما تأخر طبع بعضها أكثر من ذلـــك ، ولكننا لا ندري كيف يؤدي ذلك « إلى اختلاف الروايات حول اسم الملاح الذي أرشد

---

(٢) الدكتور أنور عبد العليم : « الفوائد في أصول علم البحر والقواعد لابن ماجد »، العرب س ٤ ص ٨٣٨ ؛ أنظر كذلك « ابن ماجد الملاح » ، للمؤلف ذاته ، ص ٧ ، ٢٨ ، ٥٢ .

فاسكو دي جاما إلى الهند »[٣] ثم ان تلك الروايات لا تختلف على اسم ذلك الملاح . إنها لم تذكر اسمه قط ، فكيف تختلف فيــه ؟ وإنما اكتفت بذكر لقبه ، أو مهنته فقط . « وجدير بالذكر ان لفظ معلم ، وجمعــه « معالمــة » ، كان هــو [الاصطلاح] المــلاحي المرادف لــلربان ، أو القبطان . أما لفظ « كانا » أو « كاناكا » ، فيمني بلغـــة السنسكريت « الحاسب » أو « المنجم » ، والمقصود به هنا الخبير بالملاحة الفلكية[١] » .

أورد الدكتور الفاضل أنور عبد العليم ، إسمَي مــــؤرخين من مؤرخي البرتغال ، الذين عنوا بالكتابة عن رحلات فاسكــــو دي جاما ، وهما كاستنهيدا F . L . Castenheda ودي باروش Joao de Barros وكلاهما من كبار المؤرخين البرتغاليين الذين عاصروا دي جاما ، وأقاموا بعض الوقت في الهند . ويعتبر دي باروش المرجع الأصيل في الموضوع . أمــــا كاستنهيدا ، فيمتاز بالدقة فيما كتبه عن الاحداث التي شهدها بنفسه .

وبالإضافة إلى هذين المؤرخين ، فهناك ثمة عدد من مؤرخي البرتغال ممن عاصروا دي جاما ، ومن أهمهم جاسبر كوريا Casper Correa . وكان كوريا قد ذهب الى الهند ، واشتغل كاتباً لألبوكرك في سنـواته الأخيرة ، فتسنى له بذلك الاطلاع على بعض المعلومات التي لم تتوفر لغيره . وقد وضع تاريخاً لأعمال البرتغاليين في الهند خلال الثلاث والخمسين سنة الاولى من وصولهم الى تلك البلاد . ولكتابه أهمية خاصة ، فقد امتنع عن نشره في حياته حتى تتوفر له الحرية الكاملة للكتابة بصراحة تامة ، وتسجيل الوثائق البشعة على علاتها عمن يتصدى للكتابة عنهم من غير تشذيب أو تزويق ، دون أن يعرض نفسه لانتقام الزبانية الموكلين بديوان التفتيش . كما اطّلـــع على أجزاء من مذكرات كتبها جون فيجويريا Joào Figueria ، وهو راهب كاثوليكي كان في حملة فاسكو دي جاما الاولى. وقد ترجم هنري ستانلي Henry E J.Stanley

---

(٣) الفوائد ، العرب س ٤ ص ٨٤ . انظر كذلك « ابن ماجد الملاح » ص ٤٩ .

(١) الفوائد ، العرب س ٤ ص ٨٤٠ . انظر كذلك « ابن ماجد الملاح » ص ٤٩ .

مـا كتبه كوريا عن رحلات دي جاما الثلاث إلى الهنـد ، ونشرته في سنة ١٨٦٩ م جمعية هكلويت Hakluyt Society الإنجليزية الشهيرة فيصورة كتاب بعنوان « رحلات فاسكو دي جاما الثلاث » The Three Voyages of Vasco de Gama .

وهناك ثمة مذكرات ثانية وضعها مـؤلف مجهول من رجال فاسكو دي جاما في رحلته الاولى ، وتعتـبر من أوثق ما كتب عن تلـك الرحلة [٢] ، وتنص بكل وضوح على ان الربان الذي قدمه ملك ملندي لفاسكو دي جاما من المسيحيين [٣] . وكان البرتغاليـون في أوائل عهدهم بالمحيط الهندي يعتبرون الهنود إما مسلمين أو مسيحيين . فمن لم يكن مسلماً فهو مسيحي في نظرهم ، حتى ولو كان من الهنـدوكيين . وعلى هذا فـالترجمة الصحيحة « لمسيحي » في هذه المناسبة ، هي « هندوكي » ، بصورة مؤكدة .

٣ – عاصر وصول البرتغاليين الى المحيط الهندي عدد من المؤرخين العرب فيما يعرف اليوم باليمن الجنوبية ، منهم شنبل ، مؤلف تاريخ شنبل ، والمتوفي سنة ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م ، وهو من أهـل تريم ؛ وعبد الله بامخرمـة مؤلف كتابي « قلادة النحر » ، و « تاريخ ثغر عدن » ، والمتوفي سنة ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م وينتهي كتابه بسنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م ؛ وابن أخيه عبد الله بن عمر الطيب بامخرمة ، مؤلف « رشف الزلال الراوي في التكميل والتذييل على طبقات الانساوي » ، والمتوفي سنة ٩٧٢ هـ / ١٥٦٤ م ، وينتهي كتابه بسنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م [٤] .

(للبحث صلة) علي التاجر

---

(٢) H. J. Wood, Exploration & Discovery ; C. D. Ley, Portuguese Voyagcs 1498-1663, p. xi .

(٣) Charles David Ley, Portuguese Voages 1498-1663, p.xi

(٤) نحيل من أراد التوسع في معرفة مؤرخي جنوب الجزيرة العربية إلى ما كتبه عنهم الأستاذ سرجنت مؤلف كتاب « البرتغال أمام الساحل العربي الجنوبي » .

كتاب الفنون

الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي (٤٣١ – ٥١٣ هـ) (من أفاضل العالم وأذكياء بني آدم ، مفرط الذكاء ، متسع الدائرة في العلوم ، خبير بالكلام ، مطلع على مذاهب المتكلمين ، عظيم الحرمة ، وافر الجلالة عند الخلفاء والملوك ... وكان شهماً مقداماً يواجه الاكابر بالانكار بلفظه وخطه) [١] . قال في وصف نفسه : (عانيت من الفقر والنسخ بالأجرة مع عفة وتقى ، ولا أزاحم فقيهاً في حلقة ، ولا تطلب نفسي رتبة من رتب أهل العلم القاطعة لي عن الفائدة ، وتقلبت علي الدول فما أخذتني دولة السلطان ولا العامة عما أعتقد انه الحق ، فأوذيت من أصحابي حتى طلب الدم ، وأوذيت في دولة النظام بالطلب والحبس ... إني لا يحل لي ان أضيع ساعة من عمري حتى اذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملت فكري في حال راحتي ، وأنا منطرح ، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره ، وإني لأجد من حرصي على العلم ، وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن العشرين سنة [٢]). ويعد الإمام ابن عقيل من كبار أئمة المذهب الحنبلي ، ولاختياراته وتوجيهاته للمسائل الفقهية اعتبار عند علماء المذهب، وهو تلميذ الإمام أبي يعلى محمد بن الحسين بن خلف بن الفراء البغدادي (٣٨٠ – ٤٧٠) الذي يعتبر من أئمة هذا المذهب العظام .

وقد صنف ابن عقيل مصنفات في الفقه معروفة عند الحنابلة ، ولكن أكبر مؤلفاته كتاب « الفنون » الذي قال فيه الحافظ الذهبي : لم يصنف في

---

(١) « المنهج الاحمد » ج ٢ ص ٢١٨ و ٢٢٠ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢١٦ و ٢١٧ .

الدنيا أكبر من كتاب الفنون، حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربعمائة. وقال ابن الجوزي : وقع لي منه مائة وخمسون مجلدة .

وموضوع هذا الكتاب كما قال ابن رجب : فيه فوائد كثيرة جليلة في الوعظ والتفسير والفقه والأصلين والنحو واللغة والتاريخ والحكايات ، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له ، وخواطره ونتائج فكره قيدها فيه . وقال صاحب « كشف الظنون » : إن ابن عقيل جمع فيه أزيد من ٤٠٠ فنّ . ولا ندري مأخذ صاحب الكشف ، وعلى كل حال فموضوع الكتاب شامل وأبحاثه متنوعة .

ولقد كانت النقول التي أوردها المؤلفون والمقتطفات التي وصلت إلينا في طوايا الكتب ، كالتي نقلها ابن مفلح في « الآداب الشرعية » وما نشره الدكتور مصطفى جواد – رحمه الله – في احد اجزاء « مجلة المجمع العلمي العربي » بدمشق من فصول نقلها من أحد أجزاء هذا الكتاب كل ذلك كان مما أثار الشوق وبعث في محبي الاطلاع والبحث التطلع للعثور على ما بقي من ذلك الكتاب العظيم ، حتى أتى الاستاذ الدكتور البحاثة جورج المقدسي ، فأسدى يداً جليلة لراغبي الاستزادة من علم ابن عقيل ؛ بل للباحثين في علمي الأصول والجدل في ذلك العهد الذي ازدهرت فيه الفنون والعلوم (القرن الخامس الهجري) فقام الدكتور جورج بنشر الجزء الأول من قطعة من كتاب الفنون، وهي عن المخطوطة الوحيدة المعروفة الآن الباقية من هذا الكتاب، ووعد بأن يتبعها بتحقيق القسم الثاني من تلك المخطوطة .

وقد جاء هذا القسم في ٤٢٧ صفحة ، سبقته مقدمة في ٥٩ صفحة، ولحقه تعريف باللغة الانكليزية في ٥٦ صفحة ، وطبع طباعة جيدة حقاً، من حيث الحروف والورق .

والدكتور المقدسي – فيما يظهر من عمله – معنيٌّ بابن عقيل يتتبع آثاره وينشر ما وجد منها ، وقد نشر كتاب « الجدل » له في عام ١٩٦٧ م ، في مجلة « الدراسات الشرقية للمعهد الفرنسي » بدمشق ، وذكر أنه ينوي نشر

كتاب « الواضح في اصول الفقه » لابن عقيل أيضاً .

ومع ما بذله الدكتور المقدسي ، وما عرف عنه من تعمق في البحث في الفكر الاسلامي في ذلك العصر ، فقد وقع في الكتاب هنات ، ربما كان مرجع وقوعها إلى كون النسخة وحيدة ، وقد يكون بعضها موجوداً في الأصل ، وعمل يقوم به محقق جليل يتطلع المرء إلى خلوه من قليل الهفوات .

وها نحن بعد مطالعة الكتاب نشير إلى بعض تلك الهفوات ، عَلْ الدكتور يتداركها أو ما يراه صحيحاً منها عند طبع القسم الثاني من الكتاب:

ص	س	خطأ	صواب
٣٩	١	يلاموا	يلوموا
	٢	في بيته	في غير بيته
	٧	ابو عمر	أبو عمرو
٤٠	٢	صاحبه	صاحب
	٧	مع جداده	منع جداده
	١٠	قدم الشام	قدم الى الشام
٤١	٧	عليها	عليها
٤٣	٧	تشبب	تَشِبُ
٤٤	٥	افنى	أقنى
٤٥	١٣	الزبيرُ صهيلَ	الزبيرَ صهيلُ
	١٥	جنحى	نجحي
٤٧	٧	الجَزْوزة	الحَزْورَة
٤٨	٥	معى	معن
	١٥	دعا عليّ	دعاه على
٥٠	١١	تلقين	بلغتن
٥٤	١٣	حُرّم	حُرِم
	١٦	الدنيا والدرهم	الدينار والدرهم

ص	س	خطأ	صواب
٥٥	٢	الدنيا والدرهم	الدينار والدرهم
٦٤	١	ادبرتَ	أدبِرَتْ
	١	الغـتَنيتِ	الغـتَيتِ
	٤	فأحْمَرُ	فاحِمٌ
٦٩	١٤	فافتقد الناس	فانتقد الناس
	١٤	افتقدوا	انتقدوا
	١٥	ـه حلف	يخلف
	١٥	يحكى	يحكى
٧١	٢	ما ... القبضة	ما دون القبضة
	٢	مثله	مُثْلَةً
٧٦	١٢	قُرْبٌ	قِرْنٌ
	١٤	قَبْلُ قَاصِمةً	قَبْلَ قاصمةٍ
	١٥	أمير المؤمنين علي	أمير المؤمنين علي ، فقال علي
٧٧	١١	إنْ تغفلوا الحرب لغفلها مخلسة	إنْ تعقلوا الحرب نعقلها مخيسة
	١٣	بن برد	بن ابي بُردة
٧٨	١	يجح	يحجم
	١٦	رِجْلك	رَحْلك
٧٩	١١	وَطبّات	وُظبَاتِ
	١٢	سحا	شجىً
٨٠	٥	يا أهل	يا أهل مصر
٨٤	٧	بذنبهم	بدينهم
١١٤	٩	الاضيافات	الصفات
١٢٣	٣	معا	بِقبا
١٣٥	١٨	برائشة	بريشة
١٣٧	١٣	لِأمري	لِأمْرِ
١٥١	١٢	استلامهم	إستأصلهم

ايضاح وتعليق على كتاب :

« بلاد العرب »

كتاب « بلاد العرب » للحسن بن عبد الله الأصفهاني كتاب أثري يرجع إلى الربع الأول من القـــرن الثالث الهجري قامت بطبعه وإخراجه : (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) بمدينة الرياض وحققه الشيخ حمد الجاسر والدكتور صالح العلي . وأول من فكر في إخراج ذلك الكتاب القيم هو المرحوم الشيخ سليمان الدخيل الذي يعتبر أول أديب نجدي عنى بمهنة التأليف والنشر عن بلاد العرب وقد سبق للشيخ حمـد الجاسر كتابة ترجمة عنه في الجزء الخامس من السنة الأولى في الصفحة الـ ٤٦٩ من مجلة « العرب » كما أن هنالك جهود أخرى لبعض المعنيين بالكتب التاريخية في محاولة نشره . وعنى محققاه بتعريف كثير من المواقع التي وردت بين دفتيه وقد درس العديد منها وتغيرت أسماؤها ، وهذه بعض الإيضاحات والتعليقات التي ظهرت لي بعد مطالعته وآمل أن فيها ما يفيد :

ص	س	خطأ	صواب
١٥٤	٧	يا جبالَ	يا جِبالُ
١٥٨	١٧	لافديتهم به	لأقـدْتـُهـُمْ بِهِ
١٥٩	١١	العبيد	العبد
١٦٠	١٦	ولا تشهى	ولا تشبهي
٢١٣	٢	جِرّىٍّ	حِراء
	٣	جرّى	حِراء
٢١٧	١٥	جالب	حالب

المدينة المنورة (م. ع)

ايضاح وتعليق على كتاب :

«بلاد العرب»

كتاب « بلاد العرب » للحسن بن عبد الله الأصفهاني كتاب أثري يرجع إلى الربع الأول من القــــرن الثالث الهجري قامت بطبعه وإخراجه : (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) بمدينة الرياض وحققه الشيخ حمد الجاسر والدكتور صالح العلي . وأول من فكر في إخراج ذلك الكتاب القيم هو المرحوم الشيخ سليمان الدخيل الذي يعتبر أول أديب نجدي عنى بمهنة التأليف والنشر عن بلاد العرب وقد سبق للشيخ حمــد الجاسر كتابة ترجمة عنه في الجزء الخامس من السنة الأولى في الصفحة الـ ٤٦٩ من مجلة « العرب » كما أن هنالك جهود أخرى لبعض المعنيين بالكتب التاريخية في محاولة نشره . وعنى محققاه بتعريف كثير من المواقع التي وردت بين دفتيه وقد درس العديد منها وتغيرت أسماؤها ، وهذه بعض الإيضاحات والتعليقات التي ظهرت لي بعد مطالعته وآمل أن فيها ما يفيد :

ص	س	خطأ	صواب
١٥٤	٧	يا جبالَ	يا جِبالُ
١٥٨	١٧	لافديتهم به	لأقـدْتـُهـُمْ بِهِ
١٥٩	١١	العبيد	العبد
١٦٠	١٦	ولا تشهى	ولا تشبهي
٢١٣	٢	جِرّيِّ	حِراء
	٣	جرّى	حِراء
٢١٧	١٥	جالب	حالب

المدينة المنورة (م. ع)

١ – جاء في صفحة ١٥ سطري ٨ و ٩ : جبلي شامة وطفيل .. ما زالا معروفين حتى الآن ويقعان جنوب مدينة جدة فيما بينها وبين بحيرمة للشرق من مرفأ الشعيبة – ميناء مكة المكرمة قديماً – وشامة تلي جبل طفيل للشرق أما طفيل الذي يقع قرب هرشا فقد نُسِيَ اليوم وأصبح لا يُعرف غير أن بعض المسنين من بادية حرب الذين أعرفهم ذكروا أن هنالك جبل يقع شمال ريع هرشا يُعرف حالياً باسم الطوال هو ما يعرف بطفيل الآخر من قبل .

٢ – في الصفحة ١٧ سطري ٤ و ٥ جبل سروعة الخ : توجد قرية تسمى سَرْوعة أو صَرْوعة تقع في أسفل وادي مر (وادي فاطمة) في غربيه يمين النازل من الوادي إلى جدة عن طريق حَدّاء وهي دامرة الآن بسبب نضوب المياه وارتحل أهلها وتفرقوا في الوادي . هذا ويوجد في الوادي عدة جبال منها ضاف وهو يطل على الشعيبة شمال غرب ويتصل بجبل مكسر ويشرف على حدّا ويبدو من شمال بحرة ظاهراً للعيان ومكسر يطل على فج الرميثي وينحصر بين جبلي سدر أو صدر . ويقول شاعر بدوي من أهالي تلك الناحية :

يا مْكَسّر نِصَاكَ اليومْ تَرْفَ القِدَمْ
سارحٍ بالغنم من يَمّ ضِلْعانْ ضَافْ
هو دخيلِكْ من الرّمْضا وشَوكَ السّلَمْ
والظمّا لا يجيي راعَ الثمانَ الرّهافْ

وسدر أو صدر كما يعرف اليوم يشرف على عين ومزرعة أبي شميلة غرب قرية الجموم مركز الإمارة في الوادي ، ويطل أيضاً على الفج . ومُوقدات مجموعة من البرق يخترقهـا حالياً طريق مكة – المدينة عبر الوادي . وسرر أو سرور ليس جبلاً شامخاً بل برق تقع بين قريتي أبي شُعيب ودف زيني . هذه بعض الجبال الشهيرة التي أعرفها .

٣ – وجاء في الحاشية ٧ الذي أعرف انهم يدعون الكباكبة نسبة للجبل المعروف .

٤ – وفي صفحة ١٩ سطر ٨ يوجد جبل يعرف بجبل لـبن ويقع في الشرائع (حنين) شرق مزرعة سمحة التي أقامها قبل سنين المرحوم الشيخ

حمد السليمان الحمدان وكيل وزارة المالية سابقاً ، ومنها يمكن الاتجاه جنوباً إلى وادي عُرَنة فعرفات .

٥ – وفي صفحة ٢٠ سطر ٤ رهجان الخ .. فبعد أن نترك نعمان ونبدأ في أول شداد يظهر لنا وادي رهجان على اليمين ، ومن رهجان يمكن الاتجاه شرقاً إلى شعبة الخرار كما توجد في أعلى رهجان ثنية ينزل منها إلى وادي ضيم وهو واد كبير يقع في أسفل كرا وجنوب شرق عرفات .

٦ – وفي صفحة ٧٩ سطر ١١ الرمة الخ .. المعروف أن سيول وادي الرمة تبدأ من الواجهة الشرقية لحرة خيبر ، وتنحدر نحو الحُليفة شرقاً وبعدها تتجه شمالاً بعد أن تنصب عدة روافد أخرى للوادي ، وفي الوسط تقع خيبر بشعابها العديدة وقراها ومياهها الغزيرة ، وفي الواجهة الغربية للحرة تبدأ سيول وادي الحمض الذي ينحدر فيه عدة روافد إلى أن يصب في البحر غربا .

٧ – وفي صفحة ١٠٩ سطر ٧ بتربة الخ .. وادي تربة ينحدر من جبال الحجاز الواقعة جنوب غرب بيشة ، ويمر بديار بالحارث وتربة التي من قراها الجرف والعلاوة ، ثم ينحدر نحو الغَرِيف والخُرمة وقراها مكوناً وادي سبيع إلى أن يبتلعه سباخ القنصلية الواقع غرب عرق سبيع .

٨ – وفي الصفحة ١٤٨ شرح سطر ٣ : وشروري الخ .. يعرف اليوم بهضب الشرار وكان لسليم قديماً ويقع شمال غرب المهد (معدن سليم) فبعد أن نترك شعيب العرج شرقاً يبدو جبل الهضب على اليمين شامخاً على غيره من الجبال ، ويمر بالقرب منه الطريق المتجهة من المهد إلى العُمَق فحِسيْ عَليا ويتفرغ فيما بعد إلى بعض جهات نجد والمدينة المنورة .

٩ – وفي نفس الصفحة شرح سطر ١٢ رحرحان الخ .. وهذا جبل كان من جبال سليم وهو جبل كبير يقع شرق الشعبة لمن كان متجهاً من المهد إلى المدينة .

١٠ – وفي صفحة ١٥٥ شرح سطر ٢ سجا الخ .. فقبل أن نرد سجا نمر بشعيب الشُبرم وهو نبات عِشبيّ شوكي ترعاه الإبل .

١١ – وفي صفحة ١٧٨ سطر ١ مثلثة الخ .. أعرف جبلين يعرفان بهذا الاسم : الأول جبل مثلثة قرب منهل سجا ، والآخر جنوب غرب منهل حِسْني عليا .

١٢ – وفي صفحة ٢٠١ شرح سطر ٣ الجار الخ .. ميناء الجار ما زالت معروفة وتسمى البريكة الآن . وهي ليست بالرايس بل تقع شمالاً عنه .

١٣ – وفي صفحة ٣٣٨ سطر ١ العرج الخ .. يوجد أيضاً شعيب يعرف باسم العرج ويقع في ديار غطفان مقابلا لجبل هضب الشرار من الشرق ، وتوجد في أعلاه بركة مطمورة يرجح انها من برك زبيدة التي أقامتها في طريق الحاج وينصب سيل العرج إلى الشعبة .

١٥ – وفي صفحة ٣٩٩ شرح سطر٢ وبالحجر الخ .. فالمعروف أن حوض الناقة يقع فيما بين العلا والحجر (مدائن صالح) .

١٦ – وفي صفحة ٤٠٤ سطر ٧ المسلح الخ.. رأيت في المسلح بركة تتجمع فيها مياه المطر وهي من برك زبيدة والمسلح يقع بعد البركة التي تلي عشيرة شمالا .

١٧ – وفي صفحة ٤١٠ شرح سطر ٣ الصفرا الخ .. سيول الصفرا تمر بكل من الجار والرايس حيث تنقسم قسمين ومنها للبحر .

١٨ – وفي صفحة ٤١١ سطر ١ البرود الخ .. توجد بئر تقع شمال غرب الشرائع تسمى البرود كان يردها حجاج نجد ، وقد أقيمت عليها مزرعة من سنوات .

١٩ – وفي صفحة ٤١٣ سطر ٦ فيفا الخ .. أعرف موضعاً يقع في وادي الفرع يسمى فَيْفا غزال .

٢٠ – وفي صفحة ٤١٤ سطر ٣ المضيق الخ .. توجد قرية في وادي الفرع تسمى المضيق . هذا بعض ما عن لي في هذه العجالة وآمل أن يعاد في المستقبل طبع الكتاب بعد إضافة شروح وتحقيقات أكثر عن المواقع حتى يستفيد القارىء من معرفة المواقع الأثرية وغيرها ، والله الموفق لسواء السبيل.

جدة – حمد بن محمد العبيدي

تحفة المحبين والأصحاب
في معرفة ما للمدنيين من الأنساب

أسدى الوزير العالم الجليل الأستاذ محمد العروسي المطوي التونسي يداً مشكورة لا للمعنيين بتاريخ المدينة الطيبة ، وحدهم ولا للمهتمين بتاريخ بلادنا على وجه الإجمال ، بل لكل من يهتم لدراسة تراث العربي ، فلقد حقق كتاب « تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب » تأليف الشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري (١١٢٩ – ١١٩٧ تقريباً) . وهو كتاب كما يصفه الأستاذ المحقق :(ليس مجرد كتاب أنساب فقط كما يدل عليه عنوانه ، بل هو بالإضافة إلى ذلك يصور مجتمع (المدينة المنورة) ، في القرن الثاني عشر للهجرة في مختلف أوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مما يمكن الدارس – خاصة الاجتماعي – من وجود العناصر والمعطيات للدراسة والتحليل والاستنتاج ، بالرغم مما سيجده المتصفح للكتاب من عدم الموضوعية – أحياناً – من المؤلف في حديثه عن بعض الأشخاص أو الحكم لهم أو عليهم) .

والواقع ان القارىء يستغرب حينما يطالع هذا الكتاب على كثرة ما فيه من الحديث عن الأسر المدنية – يستغرب قلة ذكر أسر عريقة النسب من أهل هذه البلدة الطيبة ، مع أنها كانت في صدر الإسلام وقبله موطن قبيلتي الأوس والخزرج أنصار الرسول ﷺ ثم انتقلت إليها إبان ظهور الإسلام طوائف كثيرة من القبائل العربية من قريش وغيرهم ، واتخذتها موطناً وبقيت أسر منها صحيحة الأصول قروناً .

فباستثناء أسرة المؤلف التي قدم جدها الأعلى من زرند بقرب أصبهان في القرن الثامن الهجري على وجه التقريب ، فأعقب وتناسل بنوه إلى عهد المؤلف الذي يسوق نسبه إلى الصحابي الجليل أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي ، فيورد بينه وبينه ٢١ جداً ، باستثناء المؤلف وأسرته لا نجد في

الكتاب أحداً ممن ينسب إلى إحدى الأسر القديمة من سكان هذه البلدة الطيبة ممن يُعَدّ من أهلها القدماء .

وبصرف النظر عما في نسب المؤلف مما لا يتفق مع ما هو معروف عند علماء الأنساب من اعتبار القرن يستغرق ثلاثة أجيال ، وبصرف النظر عما ذكر الخياري في رحلته من أن بيت المؤلف ينسب إلى أبي أيوب الأنصاري فإن مما لا شك فيه صحة قول الخياري : (وقد ادعى النسبة المذكورة بالمدينة طوائف ، كانت نسبتهم خافية ودعواهم واهية ، حين تعيّن لطائفة الأنصار شيء من جانب السلطنة ، فأظهروا انتسابهم ، ونشروا أحسابهم ، ولله در القائل :

وقد يتزيّا بالهـــوى غير أهله [1]

يستغرب القارىء ايضاً ان المؤلف نسب أسراً كثيرة ومنها ما هو معروف الآن نسبة قد لا توافق عليها تلك الاسر ، ولم يكتف بذلك بل ألف كتاباً دعاه : « نزهة الأبصار في عدم صحة نسب الخمسة البيوت المنسوبين إلى الانصار » أشار اليه في مواضع من كتابه [2] .

في عهد الحكومة العثمانية ، يصل إلى المدينة صدقات وهبات وريـــع أوقاف عيون النصيب الأوفر منها للأسر العريقة ، ومن هنا نشأ الاختلاف حول أنساب بعض الأسر المدنية كما اشار إلى ذلك الخياري ، ولا شك أن لذوي المناصب والحظوة لدى رجال الدولة من النفوذ ما يوجد اثراً في اثبات بعض الأنساب ، أو إبطال بعضها ، وأنا لا أستبعد أن من حوافز تأليف هذا الكتاب الاستحواذ على بعض المنافع المادية .

ومع كل ما تقدم فالكتاب ذو قيمة عظيمة لمن يعنى بدراسة الأحـــوال الاجتماعية في المدينة في عهد تأليفه وقبله ، إذ المؤلف كثيراً ما يتحدث عن نشوء بعض الأسر مبتدئاً بذكر من تنسب اليه ، وتاريخ انتقاله إلى المدينـة قبل عهد التأليف بأكثر من قرن .

والاستاذ الجليل المطوي أبرز الكتاب بحلة زاهية ، وأضاف إليه تعليقات أوضحت كثيراً من غوامضه ، ورجع في ذلك إلى كتب كثيرة منها المخطوط ومنها المطبوع ، فاستحق شكر كل من يعنيه الحرص على التراث العربي في مهده الأول. وقد عول على مخطوطتين وصفهما في المقدمة ، ويظهر أنه لم يطلع

---

(١) مجلة « العرب » : السنة الثانية ص ٢٤٤ . (٢) ص ١٠٥ و١٣٤ و٢٠٦ .

على نسخة خزانة عبد الحي الكتاني المضافة الى الخزانة العامة في الرباط .

ولكي اعبر عن مدى استفادتي من هذا الكتاب وعن الجهد المشكور الذي بذله الاستاذ المطوي أبدي بعض التعليقات التي كانت اثر قراءة سريعة في ليلة واحدة من ليالي عيد الفطر المبارك .

١ — ص ٩ اشار المؤلف المحقق إلى « المفاخرة بين الحرمين » . وأقول : أوردها السيد محمد كبريت المدني في « الجواهر الثمينة »[١] ولكنه هنا نسبها للقاضي ابي المحاسن يوسف نجم الدين الزرندي الحاكم في المدينة والناظر في امر الحسبة سنة ٨٤٨ .

٢ — ص ١٤ محمد العصامي هو في « المغانم المطابـــة »[٢] ابو عبد الله العصياني هكذا .

٣ — ص ٢٩ نعمان الذي نسب اليه المؤلف هذيل هو نعمان مكة الواقع جنوب عرفات . وليس بقرب المدينة، ويؤيد هذا أن المولودة ولدت في مكة لا في المدينة .

٤ — ص ٣٧ ليست القنفذة في منطقة عسير، فبلاد عسير في سراة الحجاز وسفوحها الشرقية ، بل هي في تهامة ، والغلط في « الموسوعة الميسرة » ، وجاء في هذه الصفحة عن تولي منصب الافتاء : وجاءته الرؤوس من شيخ الإسلام ، وأرى كلمة الرؤوس إن لم تكن محرفة ، فهي بحاجة إلى إيضاح .

٥ — ص ٤٧ تفسير الاسباهية بأنها فرقة كبيرة من الجيش فيه إطلاق ، إذ المعروف انها فرقة الخيالة ، ومنها (الاسب) و (الاسباهي) والكلمة على ما يقول اللغويون أصلها فارسي .

٦ — ص ٤٨ الحكم بأن جُدة ـ بضم الجيم ـ لا تؤيده قواعد اللغة التي تقول بأن هذا الاسم من جُدّ البحر وهو مثلث الجيم، وإن كان أكثر النصوص القديمة يوردها بضمها ، ولكن حتمية الضم تمحُّل لا دليل له .

٧ — ص ٧٣ الأوغان هم الأفغان ، ومؤرخو نجد والحجاز المتأخرون يسمعون نطق الفاء قريباً من نطق الواو ، ومن هنا حصل الخلط .

٨ — ص ٨٧ كتاب مصطفى بن فتح الله هو كما سماه المحقق الفاضل نقلا

(١) الورقة ٥١ و ٥٢ نسختي الخطية .

(٢) النسخة المخطوطة في خزانة فيض الله في استنبول ، الورقة ١٦٧ .

عن الخلاصة ، ومؤلفه صديق لصاحب الخلاصة ، وكل واحد منهما ينقل عن الثاني،غير أن ابن فتح الله وسع كتابه ، فزادت التراجم فيه عما في الخلاصة زيادة كبيرة ، ومن هذا الكتاب نسخة يظهر انها مسودة المؤلف تنقص من من المقدمة ، وهي في دار الكتب المصرية ، وأخرى في خزانة علي أميري في استنبول ، ونسخة دار الكتب أوفى منها وأتقن ، إذ الأخيرة حديثة الخط، ولقد لخص قسماً من تراجمه أمين الزللي المدني والملخص في التيمورية بدار الكتب.

٩ — ص ١٢٠ في ترجمة صاحب « المنهل الروي في مناقب آل با علوي » ورد اسمه محمد الشبلي ، ومحمد الشلبي ، والصواب الشلّي — بكسر الشين المعجمة بعدها لام مشددة مكسورة فياء — وهو محمد بن أبي بكر الشلّي الحضرمي (١٠٣٠ / ١٠٩٣ هـ) وكتابه « المشرع الروي » مطبوع ، ومن مؤلفاته « السنا الباهر بتكميل النور السافر » و « عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر » والكتابان مخطوطان [1] .

١٠ — ص ١٤٣ (وكان نازلاً في حماه) أرى أن كلمة حماه غير صحيحة.

١١ — ورد في ص ١٦ و ١٥٦ كلمة عانقان وعانقيه وعنقيني . وأرى صواب الكلمة عانقيني ، وقد وردت في « وفاء الوفاء » بهذه الصيغة على ما أذكر .

١٢ — ص ١٩٨ خيف شعثاء : الخيف هنا يقصد به العين ، لا من انحدر من غلظ الجبل ، وخيف شعثاء عين من عيون ينبع لا يزال معروفا [2] .

١٣ — ص ٢١٣ : (وهم أشبه بالحمالة على كل حالة) ، أرى الصواب : وهم أشبه بالجمالة ، كما يدل عليه السياق .

١٤ — ص ٢٣١ : ونسخ « بخاري » أرى الصواب : البخاري .

١٥ — ص ٢٩٣ : السيد ذرو من أشراف صبيا ، الصواب هنا : ذروة ، وهو ابن حسن بن يحيى بن داود ، وآل ذروة كانت لهم الامارة بصبيا ، ومنهم الأمير القاسم بن علي الذروي ممدوح القاسم بن هتيمل الشاعر التهامي الذي قال في وصفه أحد الشعراء :

---

(١) انظر « الاعلام » ٦ / ١٣٨٦ ، و « خلاصة الأثر » ٣ / ٣٦ .

(٢) انظر « بلاد ينبع » ص ٤٢ .

أما قصائد قاسم بن هتيمل فمذاقها أحلى من الصهباء
هو شاعر في فنه فطن ولـ ـكن ابن حمير سيد الشعراء

ولصديقنا محمد العقيلي مؤرخ الجنوب كتاب عنه مطبوع . وقد أوفى الكلام على نسب آل ذروة هؤلاء السيد محمد بن حيدر النعمي المقتول سنة ١٣٥١ في كتابه « الجواهر اللطاف المتوجة بهامات الاشراف من سكان صبيا والمخلاف » [١] . وذكرهم الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول في كتاب « طرفة الاصحاب » [٢] .

١٦ — ص ٢٤٣ العيدروس مكتشف البن. والمعروف أن أول من استعمل قهوة البن الشاذلي،ولا تزال تعرف في بعض جهات تهامة واليمن باسم الشاذلية.

١٧ — ص ٢٥٦ رحله فوق راسه ، أرى الصواب : رجله فوق راسه .

١٨ — ص ٢٦١ الغلا شحي . هذا الغلاء والقحط يعرف عند مؤرخي نجد باسم سحي ـ بالسين المهملة فحاء مشددة مكسورة فياء ـ وقد ذكره ابن بشر وابن عيسى وغيرهما من مؤرخي نجد ، وأطالوا في وصفه ، وانه امتدثلاث سنوات،وأورد ابن بشر عند ذكره قول أحد شعراء سديرمن نجد :

غدا الناس اثـلاثاً فثلث شريدة يلاوي صليب البين عـار وجائع
وثلث إلى بطن الثرى دفن ميت وثلث إلى الأرياف جال وناجع

١٩ — ص ٢٨١ وصل الشام واليمن وبلاد نعمان . أرى صواب الكلمة بلاد عمان بتخفيف الميم .

٢٠ — ص ٢٨٣ السقطي يقصد بها في الحجاز بائع الرؤوس والفراسن ، يقابله المقادمي والباجهجي .

٢١ — ص ٣١٥ جبل شمر هو الاقليم الواسع العريض المعروف قديماً باسم جبلي طي ،وفي العهدالحاضر جبل شمر ،وقاعدتهمدينة حايل،وطريق العراق يمر به فيجانبمنه،وهو الشرقيالجنوبي،وشهرته أوسع من شهرةطريق العراق.

٢٢ — ص ٣٢٥ الجيار أعلى القلعة أرى صوابه : الجدار في أعلى القلعة ، ومن عادة الطغاة دفن بعض الموتى داخل الجدار ، ولا صلة له بالموضع القريب من خيبر ، فقد قتل بقلعة المدينة ، والذي بقرب خيبر جبار ، وهو بالباء

(١) الورقة ٨٥ وما بعدها من نسختنا الخطية . (٢) ص ١١٠ .

الموحدة ، ويقع في الشمال الشرقي منها بقرب يمن المعروفة [1] .

٢٣ — ص ٣٣٨ البركة المذكورة هنا بفتح الراء ، وهي إحدى عيون ينبع النخل ، ولا تزال معروفة .

٢٤ — ٣٤٢ مكة المكية ، صوابها : مكة المكرمة ، وكذا يعبر المؤلف كثيراً في كتابه .

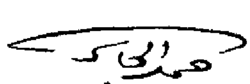
٢٥ ص ٣٨٦ عبد الله بن ابراهيم الفرضي ، هو من أهل المجمعة ومن قبيلة شمر ، ولم يذكر المؤلف اسم البلدة التي هو منها ، وهي المجمعة من اقليم سدير في نجد.

٢٦ — ص ٣٨٧ ابراهيم بن عبد الله الفرضي مؤلف « العذب الفايض » هو من علماء نجد المعروفين وكتابه طبع حديثاً في جزءين على نفقة أحد أهل نجد المدعو عبد الرحمن الطبيشي من رجال الملك عبد العزيز .

٢٧ — ص ٣٩٧ القبيط يسمى الناطق. الصواب الناطف - بالفاء — كما في « تاج العروس » : الناطف نوع من الحلوى قال الجوهري : هو القبيط .

٢٨ — ٤١٢ أشار المحقق الفاضل إلى وجود نسخة من كتاب « الجواهر الثمينة في تاريخ المدينة » في مكتبة العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب برقم ٥٤٧ ، وأقول من هـــذا الكتاب مخطوطات كثيرة من أتقنها نسخة اطلعت عليها ، ونقلت صورتها من متحف (طوب قبو) في استنبول، والكتاب أدبي أكثر منه تاريخياً .

وأما بعد : فلقد أتاح لنا الأستاذ الجليل محمد المطوي العروسي جولة ممتعة في ثنايا هذا الكتاب ، وأسدى لراغبي التعمق في تاريخ طيبة الطيبة مصدراً جديداً بنشره هذا الكتاب الذي إن أثار سخط بعض القراء فلن يعدم من كثير منهم الارتياح والشكر على هذه اليد الكريمة ، وحيا الله أبناء المغرب العربي الذين اتجهوا إلى موطنهم الأول وتراثهم القـــديم بالاحياء والتجديد ، وزادهم الله قوة ونشاطا ليزدادوا انتاجاً وعملاً نافعاً ، لا ينكر فضله إلا من كفر النعمة وجحدها ، وأعوذ بالله أن أكون منهم !!.



(١) انظر عن يمن كتاب « في شمال غرب الجزيرة » لحمد الجاسر .

مَعَ ٱلقُرّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

ثادق : (ثادج) والجُرَيْر في كتاب بلاد العرب

أثناء تصفحي لأجزاء من هذه المجلة طالعت في الجزء الأول من السنة الرابعة لشهر رجب عام ٣٨٩ هـ .. ماكتبه فيها الأستاذ محمد الماجري .. مستفهماً عن مكان ثادق الذي ذكره صاحب « معجم البلدان » واستشهد عليه بقول عقبة بن السوداء :

ألا يا لقومي للهموم الطوارق وربع خلا بين السّليل وثادق

وقول الآخر :

سقى الأربع الأظآر من بطن ثادق هزيم الكلى جاشت به العين أملح

وقول عبد الرحمن بن دارة :

قضى مالك ما قد قضى ثم قلصت به في سواد الليل وجناء عرمس
فأضحت بأعلى ثادق فكأنها محالة غرب تستمر وتمرس

وفي « معجم ما استعجم » للبكري عند ذكر اسم ثادق : أنه ماء لبني فقعس قبل القنان قالت ليلى الأخيلية :

وحلأها حتى إذا لم يسغ لها حليّ بجنبي ثادق وجفيف

وقال الشماخ :

فصدّ به عن ثادقٍ وحسائه وصدّ بها عن ماءِ ذات العشائر

وقال زهير :

فهضبُ فرَقدٍ فالطّوِيُّ فثادق فوادي القنان هضبه فمداخله

ويتساءل الأستاذ الماجري فيقول : (فما هو المقصود باسم ثادق في هذه الأبيات ، وهل هي ثادق المعروفة الآن في المحمل بنجد ؟ وهل ثادق هذه

معروفة في القديم ؟! وهل منها اناس مشهورون ؟) وتجيب المجلة بقولها : (ثادق المعروف في النصوص المتقدمة وادٍ يقع في أعلى القصيم وهو من روافد وادي الرمة ، ولا يزال معروفاً غير ان بعضهم يبدل القاف جيماً فيقول ثادج وقد حدد هذا الوادي صاحب كتاب « بلاد العرب » [1] ا هـ .

والذي أحب أن أضيفه على إجابة المجلة هو وجود قرية يجتازها هذا الوادي إلى مصبّه في وادي الرُمّة تسمى هذه القرية باسمه ، وفيها مزارع ونخيل قليلة .. وتقع على الضفة الشمالية من وادي الرمة .. وقد افتتحت وزارة المعارف فيها مدرسة ابتدائية في عام ١٣٨٨ هـ واسمتها باسم البلد (ثادج) .. وتوجد بالقرب منها أيضاً قرية صغيرة تسمى ثويدج تصغير ثادج .. وتقع جنوباً عنها .. ويمر بهما خط الأسفلت الممتد من القصيم إلى المدينة المنورة ، ثادج شماله ، وثويدج جنوبه بعيدة عنه قليلاً .. وهاتان القريتان تقعان شمال غربي جبل ابان الاسود . ويظهر انهما عمرتا حديثاً لاستيطان البادية في أول عهد المغفور له الملك عبد العزيز ..

ويقول ابن بليهد : (وثادق : ماء معروف بهذا الإسم الى هذا اليوم وهو الآن عامر فيه نخيل ومزارع ، عَمّره جماعة من حرب يقال لهم البيضان ورئيسهم ابن غميض . يصب واديه في وادي الرمة ، يقع من ابان الأسود على مسافة نصف يوم في جهته الغربية) . قال الأصمعي : (هو واد ضخم يفرغ في وادي الرمة [2]) .

.. والواقع ان وادي ثادق وهو المقصود بالأبيات السابقة يعتبر حوضاً تفرغ فيه أكثر الاودية القريبة منه المنحدرة من جبال الفوّارة والقريبة منها كجبل الحضر ، والربوض ، العميّد ، السلسلة (الظهران قديماً) وقطن ، وبعد تجمّع أكثرها فيه ينتهي الى وادي الرمة عند نقطة الالتقاء بالجهة الغربية من جبل ابان الأسود ، والخط المسفلت المار بالقصيم الى المدينة يجتاز هذا الوادي

---

(١) ص ٤٥ ، ٤٨ ، ٧٢ ، ٨٤ من كتاب «بلاد العرب» .

(٢) صفحة ١٢٢ « صحيح الأخبار » جلد ١ .

عند بلدة ثادج حيث وضع على الوادي نفسه جسر كبير سُمّيَ باسم جسر ثادج .

.. هذا وأثناء مطالعتي لتعريف الأصفهاني لوادي ثادق في كتابه « بلاد العرب » قرأت في حاشية صفحة [٤٤] منه تعليقــاً على تعريف المؤلف لوادي الجُرَيّر الذي يعتــبر من أودية الفوارة .. الــتي تفرغ في وادي ثادق أيضاً .. والتعليق يقول : (والجُرَيّر لا يزال معروفاً ،واد ينحدر من جبل التين الواقع شمالي قطن ، ثم يمر بقرية الفوارة ويجتمع به عدد من الأودية منها وادي وقـط ثم يصبّ في وادي الرمة من شماله فوق ابان الأسود) . ا هـ .

.. والصحيح ان وادي وقط لا يلتقي بالجُرَيّر .. فهـذا الوادي ينحدر من جبل وقط والرحا .. وهذه الجبال تقع شرق شمالي الفوّارة .. ثم يسير وادي وقط باتجاه وادي الرمة وفي شرقي جبل الحضر .. وبالقرب من قرية مَرَاغان يجتمع وادي وقط بواد آخر ينحدر من الجزء الشمالي الشرقي لجبال الموشم الواقعة شمال الفوّارة ويتحد مجراهما بشكل شُعَبٍ صغيرة بعضها يلتقي بوادي ثادق عند قرية ثادج نفسها وقرب الجسر .. والباقي يتجه شرقاً حيث يمر بقرية صبيح والذيبية ، ويتحد مع روافد أخرى قرب قرية الدليمية ويكون وادياً يفرغ ماؤه بوادي الرمة بعد قرية القُرَين .

وأما وادي الجريّر فيأتي من أعالي الفوّارة ومن شمالها الغربي حيث جبل التين ، وقد ذكر هــذا الجبل الأصفهاني عند ذكره لقطن الشمالي بقوله : (جبلان يسميها الناس التّينَين لبني فقعس)[١] كما استشهد بقول القائل[٢] :

لكن بِجَوّين زقاق واسعْ زقاق بـين التين والربائع

وقول القائل [٣] :

تبدلت بَوْصاً من صُحير وأهله ومن برق التينين نوط الأجاول

ويأتي أيضاً من المرتفعات الأخرى الموجودة بهذا الإتجاه.. ثم يلتقي بالقرب

(١و٢و٣) صفحة ٧٣ ، ٤٦ ، ٤٨ « بلاد العرب » .

من الفوارة بوادي الفوارة المنحـدر من بعض جبالها الشمالية كجبل هيفاء ، وجبل الخرشاء .. ولعل الحسن الأصفهاني قصد بقوله (الخشناء)[1] عنـد ذكره لجبال تلك الناحية جبل الخرشاء وتكون التسمية طرأ عليها بعض التحريف .. كما ذكر من جبـــال تلك الناحية أيضاً جبل (الربوض)[2] واستشهد بقول الشاعر :

عفا بعد عهد الحارثيات محضر ومرتبع عند الربوض خصيب

وهذا الجبل لا يزال يحمل هذا الاسم ويقع شمال شرقي الفوّارة .

.. ومن الجبـــال التي تمد وادي الفوارة أيضاً جبل يسمى حالياً الخدار قرب النمرية .. وبعد التقاء وادي الجُـرَيّر بوادي الفوارة ينتهيان إلى حوض وادي ثادق .. إذن فالجرير لا يصب مباشرة في وادي الرمة بل ينتهي مع وادي الفوارة إلى وادي ثادق .. ويؤيد هذا القول ما ذكره الحسن الأصفهاني ايضاً في كتابـه : (واسفل من ذلك فيما يلي المشرق الجرير واد لبني أسد به ماءة يقال لها الجريرة يفرغ في ثادق ، وثادق واد ضخم يفرغ في الرمـة أعاليه لبني أسد وأسفله لبني عبس)[3] .

ونعود لإكمال الحديث عن بعض الجبال المحيطة بالفوارة وذكر صاحب كتاب « بلاد العرب » لها ونقول : إن الجبل المسمى الآن بالخدار والواقـع شمال الفوارة لا يستبعد أن يكون هو المسمى قديماً بالستار[4] والوارد ذكره مع جبل قطن ويذبل في شعر امرىء القيس بقوله :

علا قطناً بالشيم أيمن صوبه وأيسره على الستار فيذبل

---

(١) صفحة ١٩٣ « بلاد العرب » للأصفهاني .
(٢) صفحة ١٩٤ نفس المصدر .
(٣) صفحة ٧٢ » » .
(٤) صفحة ٧٢ » » .

وكل هـذه الجبال قريب بعضها من بعض في مرأى المشاهـد ... ويؤيد احتمال تسمية أحدهـا بالستار قديمـاً ... وخاصة جبل الخدار ما ذكره الاصفهاني في كتابه ان الستار جبل بعد ُصبَيْح .. وصبيح الآن بلدة عامرة تحمل هذه التسمية ويحيط بها جبيلات بيضاء تميزها عن غيرها . وتقـع شرقي الفوارة بمسافة (٣٠) كيلا يتركها السائر على خط القصيم الى المدينة المنورة على يمينه ويشاهد معالمها عن كثب .. ونص الاصفهاني هو : (وماء مبهل :الحفير وصبيح جبيلان يقال لهما أريكتان بين حزوم بيض ثم يليهما الستار : جبل فيه مصانع تمسك الماء الواحد مصنمة . قال الشاعر :

مـا هـاج عينيك من الديار   بين اللوى وقنة الستار[٢])اهـ .

.. ولهذا يبدو لي ان نص الاصفهاني هذا يعني الستار الذي يوجد في تلك الناحيـة ، لا ستار ضرية الذي أشارت اليه حاشية الكتـاب بالصفحة رقم ١٩١ . ولعله هو أيضاً الستار الذي ذكره امرؤ القيس في شعره مع يذبل وقطن .. ولا يبعد أيضاً ان جبل يذبل [١] هذا هو أحد تلك الجبال الكثيرة والمحيطة بالفوارة والممتدة شمالاً عنها حيث أرض « أقشمِرا » .

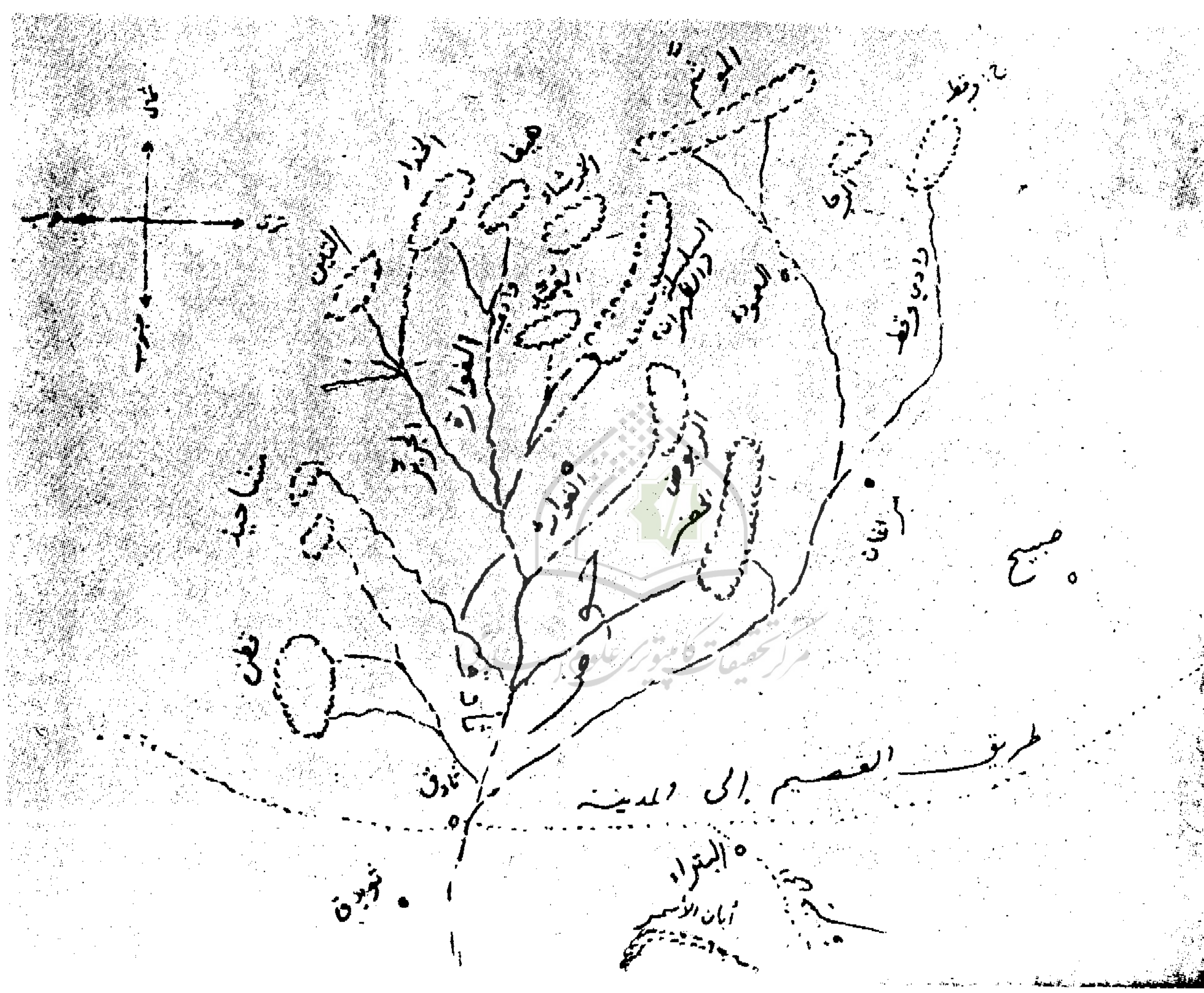
.. هذا ما أحببت الإشارة اليه لاعتقادي ان مثل هذه المعلومات تعني مجلتنا « العرب » وصاحبهـا .. بل كل من له عناية بمثـل هذه التحقيقات التاريخية .. وقد ضبط لي أكثر أسماء هذه الجبال والاودية واتجـاهاتها بعض الأهالي المقيمين بالفوارة نفسها أثناء زياراتي المتعددة للبلدة ومشاهدتي لأكثر هذه الأودية والمرتفعات .

١٣٩٠/٨/٢٠   صالح السليمان الوشمي

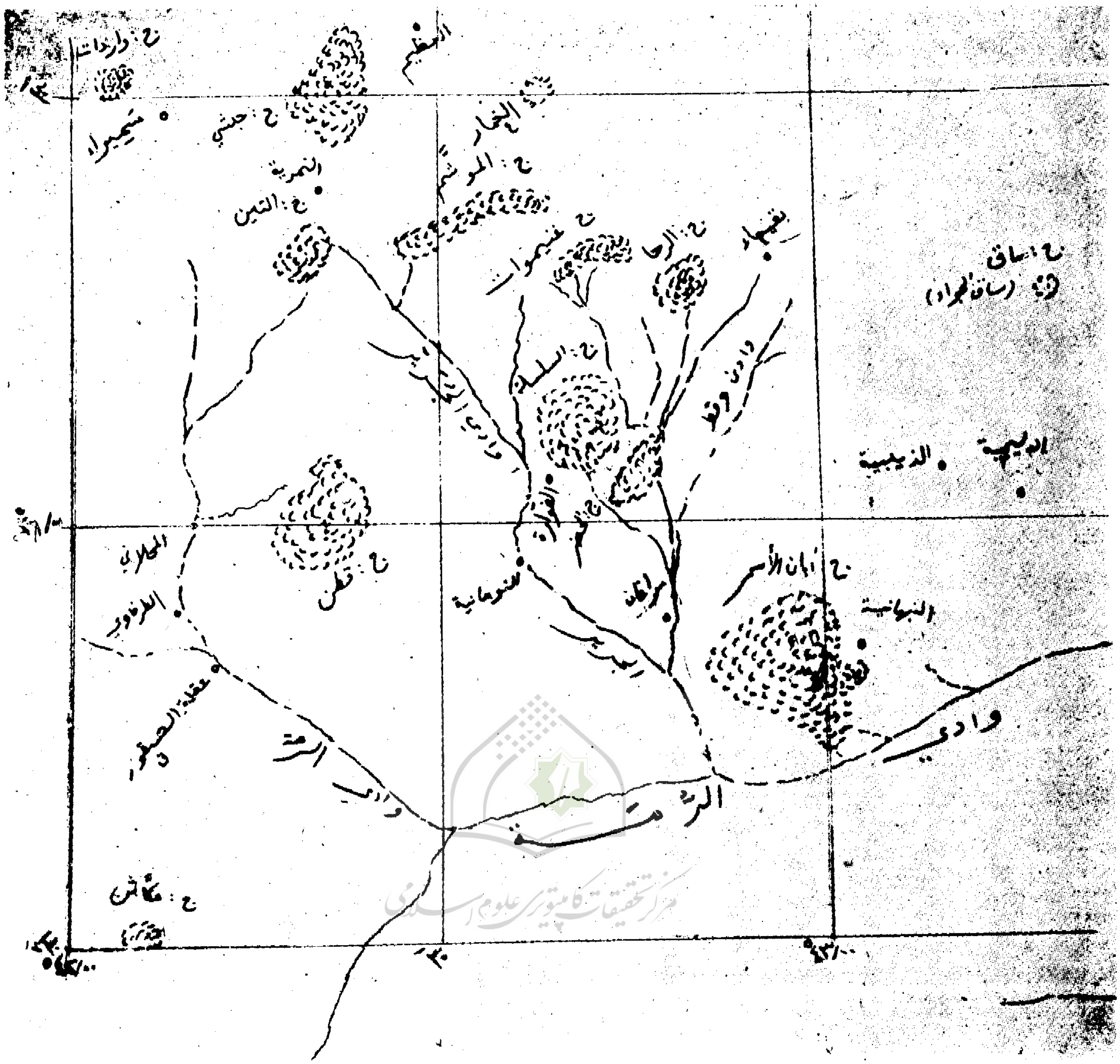
---

(١) صفحة ١٩١ نفس المصدر .

الستار الذي ذكره امرؤ القيس يقع جنوباً عن هذه المواضع - كما يفهم من كلامه - ولا يزال معروفاً بغرب قرية ضرية ، أمـــا يذبل فهوالجبل العظيم الواقع في العِرْض المعروف الآن باسم (صَبْحَا) لا شك في ذلك .



(مخطط تقريبي يوضح المواضع المذكورة في المقال نقلاً عن رسم كاتبه)



رسم تقريبي للمواضع القريبة من وادي ثادق نقلاً عن الخريطة الجغرافيـة لوادي الرمة (رقم B ٢٠٦ – I – أبحاث جيولوجية مختلفة) .

حول جريدة « بريد الحجاز »

علق الأستاذ عبد الله الحكمي في الجزء العاشر (ربيع الثاني ١٣٩٠) من مجلة « العرب » على ما كتبه الأستاذ عبد الله الماجد عن جريدة « بريد الحجاز) في الجزء الخامس (ذو القعدة ١٣٨٩) من هذه المجلة . وقد صحح ما ذكره الماجد من أن أعداد «بريد الحجاز» قد بلغت اثنين وعشرين عدداً ، فقال بأن هذه الجريدة قد أصدرت خمسة وخمسين عدداً . ولا شك في أن ما ذكره الحكمي أقرب إلى الصحة مما قاله الماجد ، ولكن حيث أن الحكمي قد جزم بأن « بريد الحجاز » لم تصدر سوى خمسة وخمسين عدداً فإني أود أن أشير إلى أنه يوجد الآن من « بريد الحجاز» ستة وخمسون عدداً وأن العدد السادس والخمسين قد صدر في ٢٧ جمادى الأولى ١٣٤٤ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٢٥ . وأود أن أشير كذلك إلى أن العدد الخامس والخمسين من هذه الجريدة لم يصدر في يوم الأحد ٢٧ جمادى الأولى ١٣٤٤ كما قال الاستاذ الحكمي ، بل صدر في يوم الأربعاء ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٤ الموافق ٩ ديسمبر ١٩٢٥ .

محمد الشامخ

مواضع في الافلاج

وكتب الى « العرب » الاديب الشاب وقيان بن عمر آل لحيان يعلق على مواضع ورد ذكرها في كتاب « بلاد العرب » للأصبهاني بما هذا ملخصه :

١ – ص ٢٢٣ سيح الزهدمي . قد اندثر هذا السيح ، ولم يبقَ له أثر ، ولكن يوجد خربات في الجنوب الشرقي من السيح يسميها أهل تلك الجهة قُصيرات عاد بضم القاف ، ولا يبعد أن تكون آثار الزهدمي لأنها مفضية إلى البياض.

٢ – ص ٢٢٣ ورد ذكر المحطي لبني جعدة وأنه بين الزهدمي وسوق الفلج . وسوق الفلج كما يفهم من كلام المتقدمين يقع شمال شرقي قرية الحرفة ،

على الجانب الشمالي لوادي الاحمر ، وحدّه الغربي خط الاسفلت ، وعلى هذا ينبغي أن يكون موضع المحطي بين قريتي الخرفة والسيح ، وقد تكون آثاره طمتها الرمال ، أما سوق الفلج فلا تزال بعض آثاره من جدران باقية تكاد تغطيها الرمال .

٣ — أكمة وكرز والأحمر ، هذه الاسماء الثلاثة تنطبق على مسمى واحد وهو واد ينحدر من أعالي جبال طويق الغربية ، فيسقي قرية الاحمر ، ويمر بقرية واسط حيث تسقيها روافد منه ، ويستمر مشرقاً فيسقي قرى الخرفة والروضة والصغو ، وإذا زاد سيله استمر حتى يسقي قرية السيح ، وإن جاد استمر حتى تبتلعه الأرض القريبة من النهدين شرقي السيح ، سمي وادي أكمة لوجود أكمة كبيرة مستديرة منعزلة شرقي الروقية ، بما يقارب كيلاً ونصف كيل ، ويسمى الوادي باسم كرز ، وهو أعلى الوادي الكبير غرب الاحمر ، وأطلق على جميع الوادي ، ثم يمر بقرية الاحمر ، فيسمى بوادي الاحمر .

٤ — الداودي الوارد في ص ٢٢٤ : قرية مهجورة شرق قرية الاحمر ، على الجانب الشمالي من الوادي إذا جاد السيل كاد يصلها ، وهي منسوبة لآل داود سكان الأحمر قبل أربعة قرون تقريباً .

٥ — الزرنوق على جانب وادي أكمة من الشمال ، وهو شمال قرية الخرفة مباشرة ، وغرب سوق الفلج ، وآثاره باقية مشاهدة الآن .

٦ — قرن : يرى الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الفالح — وهو من المعنيين بالتاريخ في هذه الجهة — أنها خربات تقع شرق قرية الصغو ، على مسافة ١٢ كيلاً عن ليلى جنوباً ، وقال : هي خربات قرن .

٧ — القاع : يقول الشيخ عبد الله الفالح انه لا يعرف عنها شيئاً ، وسألت أهل قرية الصغو ، فقالوا : هناك خربات قديمة ، ومدخل القرية لا يزال قائماً ، وعلى هذا ، فأرى ان الصغو قامت على أنقاض القاع .

٨ — صداء (الواردة ص ٢٢٦) هناك خربات بعض حصونها قائم مهجور تقع شرق قرية البديع بمسافة ٤ أكيال ، والبديع تبعد عن ليلى ٣٢ كيلاً .

٩ — الشطبيـة ، صوابها الشطبة ، وليست جنـوب وادي الاحمر ، بل

جنوب وادي الاحمر وادي حَرِم وجنوب حرم وادي الهدار ، وجنوب الهدار واديا الشطبة والضبعية ، ويجتمعان في موضع يدعى المقرن ، وفي الشطبية قبيلة الخضران ، وفي الضبعية نفر من الوداعين من الدواسر .

١٠ — واسط (ص ٢٢٧) وردت أكمة بأنها هي الاحمر ، والصواب : ان أكمة فيها قريتان : قرية واسط في الوسط ، وفي أعلى الوادي قرية الاحمر ، وقرية واسط هي موضع السوق أيام بني جعدة قامت على أنقاض قرية الباحة التاريخية ، والتي لا تزال آثار حصونها ماثلة للنظر .

١١ — النضح (ص ٢٢٨) تغير اسمها الآن الى الخبي ، وسيل الوادي يصب في العقيمي ، وفي أسفل الخبي منهل نسلة .

١٢ — دلاميس (ص ٢٢٩) تعرف الآن باسم الغينة بكسر الغين شمال وادي المراء ، وفي أسفل وادي الغينة آبار قديمة تسمى مقيم .

١٣ — الوره (ص ٢٣٠) أخطأ المعلق حيث جعلها في أعلى وادي العقيمي ، إذ هي في ملتقى شعبي غلغل والدريعي ، وهما فرعان من شطاب ، والدريعي يعرف باسم الثجة قديماً ، وشطاب كان يعرف أيضاً باسم (الوره) ، وشرق بئر الوره المعروفة الآن باسم الورهية — عند حد السهل من الجبل — بئر قَلْتها — بفتح القاف وإسكان اللام .

١٤ — الصدارة (ص ٢٣١) هي قرية من قرى الافلاج في أعلى وادي الغيل تعرف الآن باسم الستارة ، وسكانها آل ذيب من سبيع .

١٥ — ثنية الهدار : تعرف الآن باسم النتج والنتوج بقرب شعب صغير يدعى (النتيج) ، ولعل النتيج هو ثنية الهدار القديمة .

١٦ — ثنية أكمة (لا تعرف بثنية الأحمر كما جاء في الحاشية) ولكنها تدعى الجويفاء غرب الاحمر بعشرين كيلا تقريباً ، وبها منهل بهذا الاسم ، ولعله هو المعروف قديماً باسم وحاة — وقيّان بن عمر آل لحيان .

« العرب » : هذه خلاصة رسالة الشاب الاديب وقيان ، و « العرب » تقدر اهتمامه وعنايته بتحقيق مواضع بلاده ، وترجو أن يجد القراء من أمثاله من الشباب الواعي من يعنى بتاريخ البلاد وجغرافيتها كل فيما يخصه .

الرس

وجاءنا تعليقاً على ما كتبناه عن الرس ما يلي :

تلقينا في بداية شهر رجب مجلة « العرب » كالعـادة في كل شهر ، ولكن هذه المرة لم يفرحنا ما كتب فيها عن الرس . وخاصة انـك نفيت مدينة الرس الواقعة في القصيم عن مسرح التاريخ ، ونقول ان معك حق لأنك لم تقم بزيارتها لتري معالمها التاريخية الموجودة حتى الآن مثل الرسيس ووادي الرمة ووادي النساء وغيرها.

فزهير لم يزر فقط الرس بل زار عنيزة وغيرها من مدن القصيم وقال فيها شعراً موجوداً في كتب التاريخ ، فعندما قال :

لمن طلل كالوحي عافٍ منازله ؟ عفا الرس منـه فالرسيس فعاقله

فهو بذلك يعني الرس الموجود في القصيم بدون مناقشة ، فـالرسيس موجود حتى الآن قصور ومزارع ، ويقع بجوار مدينـة الرس ، وكذلك يوجد « العاقلي » ، وهو مكان به آبار من المياه العذبة تسكن حوله حرب وعتيبة منذ القدم ومكان يسقون منه أغنامهم وإبلهم .

ويذكر ياقوت الحموي في معجمه أن الرس كانت آباراً لبني أسد وأنها تقع في عوالي القصيم .. أما في عصرنا الحـاضر فقد كتب عنها بعض من جـابوا الجزيرة العربية نذكر منهم الرحالة أمين الريحاني والاستاذ حـافظ وهبة وعبد الله فلبي والشيخ ابن بليهد صاحب « صحيح الاخبار » .

ومن الأماكن التاريخية المشهورة فيها « وادي عاقل » الذي ذكر في بيت شعر زهير ، وهـو الذي كانت تقطن فيه قبيلة بني أسد وترعى في رياضه أغنامها وإبلها ، وكذلك « وادي النساء » ، كما يوجد في جنوب المدينة جبال (خزاز) المشهورة بموقعتها المعروفة ، وفي شرق خزاز توجد جبال واردات وهي التي وقعت فيها إحدى المعارك بين ابني وائل بكر وتغلب في حرب البسوس.

هذا وبودّي لو تنشروا رسالتي هذه ليقرأها كل من لم يزر مدينة الرس ليطلع على آثارها .

ابراهيم بن محمد الصائغ — الرس

العرب : حُبّاً وكرامة . نشرناها على عِلاّتها !!.